جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة بالمنوفية

العناية الإلهية في الفكر الربوبي وموقف الإسلام منها

الدكتورة
فايقة محمد جاد زيدان
مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالإسكندرية
والأستاذ المساعد بكلية التربية جامعة المجمعة

العناية الإلهية في الفكر الربوبي وموقف الإسلام منها

فايقة محمد جاد زيدان
قسم العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية وبكلية التربية جامعة المجمعة، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: Faeka.zedan@azhar.edu.eg

الملخص

الإنسان والكون بما فيه ومن عليه صناعة الله ولا يقبل العقل والمنطق الفكري القويم أن يترك الصانع صنعته دون عناية، إلا إن البعض يناقضون هذا المنطق، بل وينكرون وجود هذه العناية الإلهية، أو يقررون أنها كانت متواجدة في بدء الخلق، ثم ترك الخالق الكون وذهب بعيدًا ليعيش في سلام.

ولقد تبنى هذا الفكر الضال طائفة أطلقت على نفسها مسمى الربوبيين، وأسسوا هذه الأفكار على عدد من الأصول والمبادئ والتي تصدى لها الإسلام؛ لينفي عنها المصداقية وليظهر للجميع مدى انحلالها وابتعادها عن الطريق القويم.

وحول أصول الفكر الربوبي في باب العناية الإلهية وموقف الإسلام منها تدور صفحات هذا البحث الذي جاء في مبحثين أحدهما جاء بعنوان: العناية الإلهية ومراحل الربوبية الفكرية، والآخر بعنوان: الفكر الربوبي والعناية الإلهية وموقف الإسلام منها

وختمت الباحثة بحثها بخاتمة تضمنت أهم النتائج والمقترحات وأردفتها بقائمة المراجع.

الكلمات المفتاحية: العناية، الإلهية، الفكر، الربوبي، موقف، الإسلام.

Providence in Deistic Thought and Islam's Position on it

Faeka Mohamed Gad Zedan
Department of Doctrine and Philosophy at the Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls in Alexandria, and Faculty of Education, University of the Mogamaa, Kingdome of Saudi Arabia.
Emaile: Faeka.zedan@azhar.edu.eg

Abstract

Man, and the universe, including those in it and upon it, are made by God. The rational mind and correct intellectual logic do not accept that the maker leaves his craft without care, except that some contradict this logic, and even deny the existence of this divine providence or decide that it was present at the beginning of creation, then the Creator left the universe and went away to live in peace.

This misguided thought was adopted by a sect that called itself the Deists, and they based these ideas on a number of principles and principles that Islam confronted to deny it credibility and to show everyone the extent of its dissolution and departure from the right path. And about the origins of deistic thought in the chapter on divine providence and Islam's position towards it, the pages of this research revolve around it, which came in two sections, one of which came under the title: Divine providence and the stages of intellectual deism, and the other entitled: Deistic thought and divine providence and Islam's position on it The researcher concluded her research with a conclusion that included the most important findings and suggestions, and added them to a list of references.

Keywords: Providence, Divine Thought, Deism, Attitude, Islam.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين أحاط الكون برعايته، وشمله بعنايته، فلا يغيب عنه، ولا تؤخذه سنة من الغفلة، ولا طرفة من الهفوة، قال تعالي: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾(١)، والصلاة والسلام على حبيبة ومصطفاه أرسله لهداية الناس إلى الصراط المستقيم، والطريق القويم، رحمة منه بعبادة، ولطفا وكرما بمخلوقاته.

وبعد،،

فقد كان للفكر الغربي دورًا كبيراً في نشر الأفكار العبثية، وبالأخص في عصر النهضة، فبعد انصرام عصور الظلام والخلاص من استبداد السلطة الكهنوتية، والفكاك من الحجر على العقول تحت مسمي الحكم الإلهية بقيامهم بثورة عارمة على جميع الأديان.

فاستقرت لديهم فكرة أن العالم تحكمه القوانين الفيزيائية لا العناية الإلهية، بل أن العناية الإلهية وهم من الأوهام وليست حقيقة واقعية، وأظهرت الربوبية أن الحكومات لم تعد بحاجة إلى الالتفاف حول فكرة الوساطة الإلهية، أو الحق الإلهي حتى تكتسب شرعيته وجودها فتفرض على الناس أحكامها، وإنما الشرعية من خلال إبعاد الناس عن الدين الإلهي من خلال عقلانية المحكومين،

(١) سورة فاطر الآية ٤١.

إذ لم تعد أوربا بحاجة للمرجعية الدينية الكنسية كمصدر للقيم والنظام في العالم، فكل ذلك يمكن أن يوجد بدون الرجوع لفكرة الإله.

ولذلك دفع الربوبية إدراكهم إلى الظن بتجاوز الرب للكون، أو أن الرب لا دخل له مطلقا بشؤونه فهو بمعزال عنه، وأن الإنسان هو المهيمن على العالم، هذا الفكر المبني على إنكار العناية الإلهية. مصدرين حكمهم على الأديان جميعا، وظهرت التراهات والخرافات التي باتت تنخر في الدين ولم تترك أصلاً ثابتاً إلا هاجمته بدعوي إتباع العقل في حين التناقض مع أبسط العقول فضلا عن النقول الصحيحة.

وتعد الربوبية وغيرها من فلسفات عصر التنوير هي الوقود الفكري للنظريات الإلحادية التي قامت بعدها والمبنية على فكرة تجاوز الرب للكون وانقطاع صلته به، ومما يؤسف له أن تمتد تلك الأفكار في أكثر المناحي العقائدية، إذ تارة يهاجمون الكتب السماوية وعلى رأسهم القرآن الكريم، وتارة يصوبون سهامهم حول النبوات وما يستبعها من معجزات.

وحيث إن ديننا الحنيف يدعونا لمواجهة هؤلاء بمثل أسلحتهم، والذب عن حياض الدين، ورد مزاعمهم وبيان بطلانها، فكان لزاما على أن ادخل مضمار الدفاع عن الدين باعتباري مسلمة أولا ودارسة في جامعة الأزهر قسم العقيدة ثانيا، اقتداء وحبا في ديني، مجاهدة لهم باللسان الذي هو من أفضل أنواع الجهاد كما قال (ﷺ): "جاهدوا الْمُشْرِكين بأموالكم وَأَنْفُسكُمْ وألسنتكم"(١).

(١) أخرجه أبو داود في سننه ج٢ باب كراهية ترك الغزو ص ١٣ ح ٢٥٠٤ تحقيق: محمد محيي الدين – دار الفكر.

أولا: أسباب اختيار الموضوع:

١- الدفاع عن الذات العليً، حيث إن ذلك واجب شرعي يتحتم عليً القيام به.

٢- إنكار الربوبية للعناية الإلهية فيه تكذيب لما جاء في القرآن الكريم من شمولية العناية الإلهية.

٣- ضرورة إيضاح الرؤية حول مخاطر هذا الفكر على العقيدة والأخلاق.

ثانيا: أهمية الموضوع

١- العناية الإلهية جزء مهم من مبحث الإلهيات فهي وثيقة الصلة بالربوبية فذروة سنامها هي العناية الإلهية التي هي مرتبطة بالإنسان.

٢- طرح فكرة العناية الإلهية من الأفكار التي تمتد بجذورها بعمق في تاريخ الفكر الفلسفي ابتداءً من العصر الإغريقي، كما شغلت مساحة غير قليلة من الفكر المسيحي، وقد تعرض للحديث فيها أيضا بعض فلاسفة الإسلام كالكندي والفارابي وابن رشد وابن سينا[1]، ولها صور متعددة في العصر الحديث تندرج جميعها تحت الفكر الإلحادي.

٣- البحوث التي عالجت هذه القضية في الفكر الربوبي قليلة أو بمعني أدق لم أجد بحثا تحدث عن هذه القضية لدي الفكر الربوبي، فرأيت أن لا مناص من الحديث عنها لديهم وبيان موقفهم منها

ثالثا: مشكلة البحث:

تكمن المشكلة في سعي الفكر الربوبي لفرض فكره المادي ومهاجمة الدين،

(١) ولا أريد الخوض في هذه التفصيلات المتشعبة، لأن الخوض فيها يطول جدا ولا يسع البحث لها ولا سيما إذ أخذ في الاعتبار أن هذه الفكرة كل قد أدلي بدلوه فيها بداية من العصر اليوناني بين مؤيد ومعارض، كما أن الربوبية والفكر الإلحادي كل منهم أدلي بدلوه فيها وأثاروا جدالاً واسعاً علي شبكات الأنترنت ولذا سأقتصر علي أبرز الإشكالات والتناقضات.

وذلك بنشرها هذه الأفكار الضالة، وصبغها بالذي الديني وتصديرها إلى كافة أنحاء العالم، أيضا وجود فئة من أصحاب أنصاف العقول من الشباب والمتحررين يروجون لهذا الفكر المنحرف من خلال مدونات ومواقع الكترونية في سبيل مهاجمة الدين.

رابعا: منهجية البحث:

الحديث عن العناية الإلهية في الفكر الربوبي يتطلب عدة مناهج منها المنهج التحليلي الذي يتضح عند تحليل آرائهم وتبسيطها.

والمنهج التقريري الذي يبدو في عرض آرائهم من خلال مؤلفاتهم ومدوناتهم، كذا المنهج النقدي والذي يقوم على تفنيد آرائهم والرد عليه ببيان أوجه التناقض والقصور، إضافة إلى المنهج التاريخي الإسترادادي والذي يبدو في الحديث عن جذورها الفكرية، فإذا تم ذلك أمكنني وضع آرائهم في إطار معرفي، وبيان الحكم عليه من ناحية القبول أو الرفض.

خامسا: الأهداف والغايات:

لدراسة هذا الموضوع جملة من الغايات والأهداف من أهمها:

١- عرض فكر الربوبية عن العناية الإلهية وبيان تناقض آرائهم وتهافتها.

٢- إبراز جذور هذا الفكر وبيان أن الربوبية مقلدين للفكر اليوناني متأثرين بأقوالهم، وإظهار الأسس الواهية الذي قام عليها هذا الفكر.

٣- التأكيد على شمول العناية الإلهية للخالق جل في علاه بالكون، وإيراد بعض الأدلة التي تفند آرائهم ببيان المعتقد الصحيح.

٤- بيان ضحالة فكرهم وقصور نظرهم فلا أدلة قوية لديهم ولا حجة لهم على أقوالهم.

سادسا: مكونات البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة، بجانب ثبت للمصادر والمراجع:

المقدمة: تتضمن أسباب اختيار الموضوع ومنهج البحث والغايات والأهداف ومكونات البحث.

المبحث الأول: العناية الإلهية ومراحل الربوبية الفكرية وجاء في مطلبين.

- **المطلب الأول:** العناية الإلهية وجذورها الفكرية.
- **المطلب الثاني:** الربوبية ومراحلها الفكرية.

المبحث الثاني: الفكر الربوبي والعناية الإلهية وموقف الإسلام منه وجاء في مطلبين:

- **المطلب الأول:** الاتجاهات الربوبية في العناية الإلهية:
- **المطلب الثاني:** العناية الإلهية في الإسلام.

الخاتمة تتضمن أهم النتائج وأبرز التوصيات.

المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

المبحث الأول
العناية الإلهية ومراحل الربوبية الفكرية

يتعين على قبل الحديث عن موضوعات البحث التعريف بمصطلحاته، وذلك في مطلبين أحدهما خصص للتعريف بالعناية الإلهية وجذورها الفكرية، والأخر للتعريف بالربوبية ومراحلها تطورها على النحو الآتي:

المطلب الأول
العناية الإلهية وجذورها الفكرية

الفرع الأول: التعريف بالعناية لغة واصطلاحا:

أولا: العناية في اللغة: جاءت العناية في اللغة على عدة معان منها حفظ الله ورعايته ومنها تدبير الله للأشياء(١).

ثانيا: مفهوم العناية في اصطلاحات الباحثين.

ورد في تعريف العناية الإلهية عدة تعريفات على النحو الآتي:

١- عرف ابن سينا العناية الإلهية بأنها كون الأول عالماً لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير وعلة الكمال بحسب الإمكان فيعقل نظام الخير على الوجه الأبلغ في الإمكان فيفيض عنه(٢) نظاماً وخيراً علي الوجه

(١) يراجع لسان العرب- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ج١٥ ص١٠١ دار صادر – بيروت ط الأولى، المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ج٢ ص٦٣٣، جمهرة اللغة – الأزدي ج٢ ص ٩٥٥ المحقق: رمزي منير بعلبكي، تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي – ج ٣٩ ص١٢٥، تهذيب اللغة – الأزهري ج٣ ص١٣٦ – تحقيق: محمد عوض مرعب.

(٢) وينبثق هذا التعريف لابن سينا مباشرة من اعتقاده بنظرية الفيض التي تقتضي أن الخالق جل في علاه لا يعقل من هو دونه وإنما يعقل ذاته فقط وبالتالي فلا يصدر عنه= إلا=

الأكمل([1])، وعلي ذلك فالعناية عند ابن سينا هي علم الإله للكون والإفاضة عليه بالقوانين والأنظمة؛ للوصول إلى الخير.

٢- يري "أندريه لالاند" أن العناية عمل يمارسه الله على العالم حسبما تقتضيه إرادته؛ للوصول إلى غايات منها التنظيم للكون بوضع القوانين الثابتة والتي تعود على الكون بآثار طيبة([2])، ومن ثم فهذا التعريف يؤكد على أن الغاية من العناية الإلهية تتمثل في وضع القوانين من الخالق، والتي بدورها تعود بالنفع على الكون، وهذا التعريف يتفق مع سابقه في الغاية من العناية، بيد أنه يختلف معه في مضمون العناية، إذ يعتبرها ابن سينا علم الإله بالكون، بينما اعتبرها "لالاند" عمل وإرادة.

وذهب جميل صليبا إلى أن العناية علم الله بما ينبغي أن يكون عليه الكون، حتى يكون على أكمل نظام([3])، وهذا التعريف يعد حصراً للعناية في نطاق ضيق وفي إطار ما يجب أن يكون عليه الكون، بينما جاء تعريف ابن سينا شاملا علم الله لذات الكون وجوهره بما يشمله من أحداث ووقائع في الماضي والحاضر والمستقبل

٣- وترتيباً على ما سبق وإن سمح لي أن أضع تعريفاً للعناية الإلهية يمكن

=مثله، ومن ثم فقد عقل ذاته ففاض عنه عقل ثان، ثم فاض عنه الثالث وتواصلت سلسلة الفيض حتى سار إلى العقل العاشر وهو ما يسمي بالعقل الفعال الذي خلق الموجودات.

(١) يراجع النجاة في الحكمة الإلهية – الحسين بن علي ابن سينا ص ٢٨٤ – المكتبة المرتضوية مطبعة السعادة ط ثانية ١٩٣٨م، النجاة في المنطق والإلهيات ص ١٦٤.

(٢) يراجع موسوعة لالاند الفلسفية أندريه لالاند ص ١٠٦٤ ترجمة: خليل أحمد خليل عويدات باريس ط ثاية ٢٠٠١م.

(٣) يراجع المعجم الفلسفي جميل صليبا ج ٢ ص ١١٠ دار الكتاب اللبناني ط ١٩٨٢م.

القول بأنها:حفظ الله للكون ذاته بما فيه من موجودات ومخلوقات بالأنظمة والقوانين الإلهية حسبما سبق به علمه واقتضته إرادته

الفرع الثاني: الجذور الفكرية لنظرية العناية الإلهية:

جدير بي أن الم إلمامه خفيفة عن جذور طرح فكرة القول بالعناية الإلهية، بالقدر الذي يقتضيه التعريف بها؛ إذ الحديث في هذه الفكرة ليس وليد اليوم، ولم يكن الفكر الربوبي هو أول من خاض فيها، وإنما هو قديم بقدم الفكر البشرى وفيما يلى اعرض لأشهر المتحدثين في هذه القضية إجمالاً على النحو الآتي:

أولا: الفكر اليوناني:

١- افلاطون (٤٢٧ ق.م - ٣٤٧ ق.م)

لما كان أفلاطون يؤمن بأن هناك آلهة وهي بالطبع خيره وفاضلة، ومن ثم فلا ينتج عنها إلا كل خير، لذا فهي لديها عناية بالكون وبالمخلوقات الموجودة فيه(١)، كما ميز أفلاطون بين نوعين من العناية إحداهما: عناية عامة تشمل جميع المخلوقات، والأخرى عناية خاصة ينالها الأتقياء والمخلصون(٢).

٢- أرسطو (٤٧٠ ق.م - ٣٩٩ ق.م)

يري أرسطو أن الإله لديه عناية بالكون ويدبر شؤونه متفقاً في ذلك مع أفلاطون والرواقيين(٣)، وفي الوقت نفسه يقرر أرسطو أن الإله محرك لا يتحرك ليبقي أكثر قدسية(٤)، ولكن كيف يهب الإله الحركة للكائن المتحرك

(١) فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها غي الفلسفة الإسلامية والغربية - مصطفى حسن النشار ص ٢٣٩ مكتبة مدبولي القاهرة ط ٢.

(٢) يراجع العناية الإلهية ومشكلة الشر في الفكر الفلسفي - ثائر على الحلاق ص ١٠٥، ١٠٦ - دار النوادر ط أولى ٢٠١٤م.

(٣) الفلسفة الرواقية - عثمان أمين ص ١٥٠ لجنة النشر والتأليف بالقاهرة ١٩٤٥م.

(٤) الطبيعة - أرسطو طاليس ج ٢ص ٩٩٤ ترجمة: إسحق بن حنين تحقيق: عبد الرحمن=

ويعتني به وهو في نفس الوقت عاجز عن الحركة ؟! وهذا الفكر لأرسطو جاء متفقاً مع أفكار الفلاسفة الإغريق الذين قرروا أن دور الإله ينتهي بانتهاء عملية الخلق.

٣- الرواقيين القرن الثالث قبل الميلاد

سطرت كتب التاريخ الحديث عن تصورهم للإله بكونه منبثا في كل أجزاء الكون فهو والعالم شيئاً واحداً، إذ هم من القائلين بوحدة الوجود، ومن ثم فالإله محركا لكل جزء من أجزاء العالم، ومهيمن عليه، وبالتالي فالإله يراعي الكون ويدبر شؤونه، أفضل تدبير(١).

٤- الابيقوريين (٣٤٠ ق.م ــ ٢٧٠ ق.م)

يري أبيقور أنه لا أثر في العالم إلا للذرات والمصادفة، ومن ثم فإن الإنسان إذا بحث عن إله فلن يجده، وبالتالي فلا فائدة من وجود الإله، ولا أدلة تشير إلى وجود أي صلة له بالكون.

وعلى الرغم من ذلك يقرر ما يناقض قوله السابق، ويذهب إلى القول بضرورة وجود آلهة كفكرة عقلية فقط؛ لأن البشر فكر في أن الإلهة موجودة وهذا الطرح العقلي [٢]ورد عن طريق الحس، ولا يمكن أن تتصل الحاسة إلا بما

=بدوي – مصر المكتبة العربية، أرسطو المعلم الأول، ماجد فخري، ص٩٤ سلسلة قادة الفكر، المطبعة الكاثوليكية- بيروت، فكرة الألوهية عند أفلاطون – النشار ص٢٣٩ ط٢.

(١) يراجع الفلسفة الرواقية – عثمان أمين ص ١٤٢، ١٤٤، ١٥٠.

(٢) ويعد هذا تناقض في الفكر الأبيقوري إذ أنه يفصل بين العقل والحواس، والحاسة ترتبط بالعقل وليس العكس، فالعقل هو الذي يصدر أوامره للحواس لتدرك مكنونات الأشياء التي تتعامل معها هذا من ناحية، ومن ناحية أخري كيف تدرك الحواس وجود الإله ولا تعترف بوجوده على حد قوله في نفس الوقت، إذ الإدراك يستوجب عقلا الاعتراف بوجود الشيء المحسوس.

هو موجود، وإن لم تعترف الحواس بوجوده.

ومن ثم فالآلهة موجودة لكنها مختلفة إذ هي مكونه من ذرات شفافة لطيفة، ولا صلة لهم بالكون فلا ينشغلون بالعالم مطلقاً؛ ويعيشون بالخلاء سعداء بعيدا عن أحزان العالم([1])، وبالتالي فالآلهة الأبيقورية لا تدبر شؤون العالم وليس لها أي عناية بالكون.

ثانيا: فكرة العناية الإلهية في الفكر المسيحي

لقد تعرض العديد من الفلاسفة المسيحيين لفكرة العناية الإلهية؛ إذ يقررون أن الإله لديه عناية بالكون وتستند فكرة العناية إلى الإيمان بوجود الله ذاتا وصفاتا، كما تعتمد هذه الفكرة على الاعتقاد في المسيح عليه السلام بكونه مخلصا وأن الله تعالى تجسد فيه وهذا يعد عندهم من قبل العناية بالإنسان.

وممن تعرض لذلك في الفكر المسيحي "القديس أوغسطين" (٣٥٤ - ٤٣٠م) الذي مزج بين الرؤية الدينية كمسيحي وبين الحجج العقلية إزاء تناوله نظرية العناية الإلهية فقد كان متأثرا بالفكر اليوناني، ومزج بين العقل والدين مؤمنا بالعناية الإلهية في تدبيرها شؤون الإنسان، ومؤكداً أن العقل يقود إلي الإيمان الصادق([2])، وبأن الله قد خلق العالم بقدرته وصوره بشكل محكم ومنتظم، كما أن عنايته بخلقة لا يشاركه فيها أحد حتى ولو كان ملكا من الملائكة([3]).

ومن الأهمية بمكان أن "القديس يوحنا ذهبي الفم" (٣٤٧-٤٠٧ م) قرر أن: الإيمان بالعناية الإلهية للكون، منبثقة ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بخلق الله للعالم بكل ما فيه، وتسخير الخالق الكون لخدمة الإنسان يعد صورة من صور عنايته

(١) يراجع أبيقور مؤسس الفلسفة الأبيقورية- محمد محمد عويضة ص ٣٥، ٣٦ دار الكتب العلمية بيروت ط أولي ١٩٩٤ م

(٢) مدينة الله – القديس أوغسطين م ١ ص ٤٨١، ٤٨٢ ط ٢ دار المشرق بيروت.

(٣) مدينة الله – القديس أوغسطين م ٢ ص ١٠٣.

بالبشر([1]).

كما لا يمكن إغفال ما قرره "توما الأكويني" (١٢٢٥- ١٢٧٤م) الذي ميز بين العناية والتدبير، مبينا أن العناية أزلية، وهي تعني السبب الذي يقود الأشياء إلى غايتها القصوى، بينما التدبير يعني:تنفيذ ما قررته العناية([2]).

ويتضح من العرض السابق أن ما ذهب إليه الفلاسفة المسيحيين قد جانبه الصواب من جانب الاعتماد على فكرة تجسد الإله في شخص المسيح، إذ العناية لا يمكن أن يكون مصدرها بشر، ولو كان المسيح نفسه، لأن الأخير يحتاج إلى عناية؛لكونه بشراً ضعيفاً، فكيف يكون الضعيف مصدراً للعناية بالكون الأقوى منه ؟!.

أما الربط بين العناية والتدبير فقد جاء فيما أري منطوياً على فهم خاطئ للمصطلحين معاً، إذ أن التدبير من وسائل العناية، ومن ثم فهو فرع عنها وليس منفصلا، أو متمايزاً عن العناية؛ لأن الخالق في عنايته بالكون يستخدم التدبير المحكم كوسيلة من وسائل العناية.

ومن جانب آخر فقد أصابوا في الربط العقلي بين أهمية العناية ودورها في تسخير الكون لخدمة الإنسان، فلو ترك الإنسان والكون بلا عناية، لما استقامت الحياة، ولا كان هناك مجالاً لإعمار الأرض.

ثالثا: العناية الإلهية عند فلاسفة المسلمين:

لا يمكن إغفال دور الفلاسفة المسلمين –كالكندي والفارابي وابن رشد وابن سينا([3]) وغيرهم– في قضية العناية الإلهية للخالق بالكون، وعلى الرغم من تنوع اتجاهاتهم إلا أنهم قد أثبتوها للخالق جل في علاه.

---

(١) يراجع العناية الإلهية – القديس يوحنا ذهبي الفم ص ٢٦ ترجمة: نشأت مرجان – دار الثقافة الأسقفية القاهرة ط ١، ٢٠٠٩م.

(٢) يراجع العناية الإلهية ومشكلة الشر في الفكر الفلسفي– ثائر على الحلاق ص ٨٧.

(٣) يراجع في هذا الصدد تفسير ما بعد الطبيعة – ابن رشد، النجاة في المنطق والإلهيات – ابن سينا، ص ١٦٤.

المطلب الثاني
التعريف بالربوبية ومراحلها الفكرية

الفرع الأول: التعريف بالربوبية

تعددت أقوال الباحثين والربوبين في تعريف الربوبية(١) وتنوعت مشاربهم على النحو الآتي:

١- الربوبية إيمان مطلق بالله دون الاستناد إلى النصوص الدينية، أو أي تعاليم تأتى عن طريق الوحي، وكل الأديان تأتى من منبع الواحد ذاته، كما أن الكون قائم على العقل واحترام الطبيعة(٢)، وبناء عليه فهم يرفضون كافة النصوص الدينية، ويعتبرون الكتب السماوية كأنها غير موجودة فعلى ما يعتمدون **إذن؟!**

٢- **عرفت بأنها:** اعتراف بقوة لا محدودة أكبر من تلك القوة التي يملكها البشر من خلال الملاحظة مع الحفاظ على القوانين والأنماط في الكون والطبيعة، والتأكيد على قدرة العقل البشري الفطرية، ومن ثم يمكن إدراك قوة لانهائية أكبر من قوة البشر، ،وبالتالي رفض ادعاءات الديانات تلقي وحي خاص من عند الله(٣)، وهذا التعريف فيه إنكار للوحي الإلهي، ويترتب عليه أن تكون جميع النبوات الإلهية خدعه وليست حقيقة واقعية.

---

(١) للمزيد من التفصيل حول الأقوال الواردة في تعريف الربوبية يراجع الألوهية في الفكر الربوبي وموقف الإسلام منها – فايقة محمد جاد – ص ٦٨٩-٦٩١ – مجلة كلية أصول الدين بطنطا العدد الرابع عشر لسنة ١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م.

(٢) قاموس فولتير الفلسفي – فولتير ص٣٠٧ ترجمة: يوسف نبيل د.ط، د.م مؤسسة هنداوي ٢٠١٧م.

(٣) الربوبية _ Deism – اتحاد الربوبيين في الشرق الأوسط ١٤- ١٠ -٢٠١٨ – https://t.me/s/deism_mena?before=٨٢

الفرع الثاني: المراحل الفكرية للربوبية

سبق الحديث عن تحديد المفاهيم والآن أنتقل بعون الله تعالى وتوفيقه لبيان المراحل الفكرية للربوبية، ويمكن للباحثة أن تجتهد في تقسيمها إلى ثلاث مراحل على النحو الآتي:

١- مرحلة التخلي عن الدين وقد أخذت هذه المرحلة عدة خطوات:

الخطوة الأولى: التنفير من الدين المسيحي: ظهرت بوادر مهاجمة الدين المسيحي في القرن السادس عشر هذا القرن الذي بدأت فيه عمليات الانفجار(١) المعرفي، فظهرت أطروحات تورد إشكالات عميقة حول الدين المسيحي على يد العديد من المهتمين بذلك مثل "فاوستوس سوسينوس"(٢) وغيره من الربوبيون الذين نالوا من الدين النصراني وأظهروا انتقادات للتعاليم الدينية البروتستانتية كما قاد لواء ذلك "تشازلز بلونت" – ماثيو تندال (١٦٥٧-١٧٣٣)(٣)، ويعد

(١) يراجع الموسوعة الكاثوليكية. المجلد ٤. نيويورك: شركة روبرت أبليتون، ط ١٩٠٨م. https://www.newadvent.org/cathen/٠٤٦٧٩b.htm

(٢) "١٥٣٩-١٦٠٤م" وهو عالم لاهوت إيطالي كان مناهضا للتثليث، باحثا عن دين أخلاقي خالي من الأسرار اللاعقلية مشددا على قوة البشر للعيش بدون عون سماوي – يراجع تكوين العقل الحديث – راندال ج١ ص ٤١٥-٤١٦.

(٣) مؤلف إنجليزي ربوبي بارز ولد عام ١٦٥٣ لاب كان يعمل قسيس بالكنيسة ورئيس جامعة فيريس، درس القانون في أكسفورد، على يد رجل الكنيسة جورج هيكس تقلد العديد من الوظائف منها زميلًا لكلية عن كنيسة روما" ولكن بعد أن أدرك "سخافات البابوية"، عاد إلى كنيسة إنجلترا في عيد الفصح عام ١٦٨٨. كما تولي نائب القاضي للمحامي العام للأسطول توفى ١٧٣٣م اعتقد تندال أن المبادئ الأساسية للمسيحية هي معرفة عامة، تم الحصول عليها من خلال العقل البشري ومن الطبيعة. لذا فإن الحقائق الدينية كانت معروفة للبشرية منذ بداية الزمن، لكن تمت إضافة أمور إضافية غير معقولة في وقت لاحق من قبل قادة الكنيسة الذين دفعوا معتقداتهم الخاصة إلى الجماهير وألزموهم بها. https://ar.kineshma.net/Matthew-Tindal-٧١٤٤

الأخير من أكثر مؤيدي الفكر الربوبي، إذ هاجم الدين المسيحي من خلال كتابه "المسيحية قديمة قدم الخلق" فجرد الدين المسيحي من أوهام اللاهوت مستخدما الجدال لتأكيد أن الكتاب المقدس ليس أكثر من بيان للدين الطبيعي، بل وإعادة لنشر القانون الطبيعي، فما الحاجة إذاً إلى النصرانية، والطبيعة فيها ما يكفي، بعيداً عن الوحي(١).

الخطوة الثانية: التنفير من رجال الدين المسيحي، كرد فعل لما يقوم به رجال الدين من ممارسات خاطئة مثل صكوك الغفران، والتي بموجبها يغفر للشخص جميع الخطايا التي يعتزم المرءُ ارتكابها مستقبلا؛ لأن البابا – حسب زعمهم – يملك سلطاناً يفوق سلطان الرسل والملائكة(٢).

كما قاموا أيضا بإرهاب الناس باسم الله من خلال إنشاء محاكم التفتيش، إذ كانوا يداهمون المعامل والمختبرات ومجالس العلم، فضلاً عن البيوت للعثور على مخالف لآرائهم، فيقتلونهم ويقطعونهم أحياء بل ويحرقونهم نظراً لاعتماد هؤلاء العلماء والمفكرين على العقل والتجارب وليس على الكتاب المقدس(٣).

الخطوة الثالثة: التنفير من نصوص المسيحية وطقوسها ومراسمها:

هاجمت الربوبية وبشدة الكتاب المقدس، واعتبرته ضرباً من الأساطير والعقائد الوثنية، كما أنه يعد كتاب من كتب الألغاز التي تتطلب قوي خارقة لشرحها، مؤكدة علي نبذ تقديس الأشخاص والتماثيل المنتشرة داخل الكنائس والأديرة، ومن ثم رفض دعوي ألوهية المسيح، والقول بالثالوث وعبادة

---

(١) الموسوعة الكاثوليكية. المجلد ٤.

(٢) يراجع قصة الحضارة – ول ديورَانت ج ١٦ ص١٨ ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين الناشر: دار الجيل، بيروت ١٩٨٨م.

(٣) يراجع عصر العقل تحقيق: في اللاهوت الحقيقي والأسطوري – توماس باين ج١ ص٤٧ ١٦– ترجمة: محمد موسى.

القديسين، بل ونددت وبشدة على الأساطير التي ذكرها الكتاب المقدس كمسألة صلب المسيح تكفيراً عن خطايا العالم بسبب أكل آدم (عليه السلام) من التفاحة، ومصارعة الله للشيطان(١)، مؤكدة أن هذه الأساطير والمطالبة بالإيمان بها يعد من قبيل ازدراء العقل البشري والاستخفاف به، إذ لا يعقل بأي حال من الأحوال التسليم بكون الإله واحد وثالث ثلاثة في نفس الوقت.

ويؤكد ما سبق ما ذكره "مارتن لوثر": "أنتَ لا تستطيعُ أن تقبلَ كُلاً من الإنجيل والعقل فأحدهما يجب أن يفسح الطريق للآخر، فكل نصوص العقيدة المسيحية تقف أمام العقل عاجزة وزائفة إذ كيف يعطينا المسيح دمه لنشربه وجسدهَ لنأكله وكيف يكون المسيحَ ابنَ الله ويتعذَّبُ ثم يموتُ هذه المِيتةَ المُخْجِلَةَ على الصليب؟... ومن ثم فالعقل أكبرُ عدوٍّ للإيمان(٢).

٢- مرحلة بناء الدين الإنساني: وقد مرت بعدة خطوات:.

الخطوة الأولى: التركيز على قدرة العقل في صياغة الحياة.

تري الربوبية أن عصر الجهل بدأ مع النظام المسيحي الذي عمل على نشر الأساطير الدينية التي أفسدت بدورها الحياة بأسرها؛ ونتيجة لذلك نادت الربوبية بقدرة العقل للوصول إلى إدراك الحقائق والاستغناء عن الوحي والكتب السماوية، فبالعقل يستطيع الإنسان سن القوانين والتخطيط للمستقبل استقلالاً عن الدين، وبدراسة العقل للاهوت الحقيقي"الكون"(٣) استطاع الإنسان معرفة كل العلوم.

(١) يراجع عصر العقل – توماس باين ج ١ ص ١١، ٤٦.

(٢) قصة الحضارة – وِل ديورَانت ج ٢٤ ص ٥٦.

(٣) يراجع عصر العقل ج١ ص٤١، ٤٨، تاريخ الفكر الأوربي الحديث –رونالد سترومبرج ص ١٨٢ ترجمة: أحمد الشيباني – ط ٣- مصر –دار القادى العربي ١٩٩٤م.

ويعد –"جون تولاند"([1]) و "لوك" من أبرز المدافعين عن المذهب الربوبي في هذا الشأن، إذ اعتمدا على كون العقل هو الأساس الوحيد لكل يقين([2])، رافضينا وبشدة ما جاءت به المسيحية من عقائد تخالف العقل، ومؤكدين أنه لا يمكن قبول أي شيء يفوق العقل([3]).

الخطوة الثانية: الإعلان عن قدرة الإنسان في بناء دين جديد([4])

لما كانت الربوبية تنكر الأديان جميعاً ولا تعترف بأي عقيدة من العقائد لجأت إلى القول بأن الإنسان بعقله فقط يستطيع الوصول للمعني الحقيقي للدين بعيداً عن المفاهيم الغريبة في الكتاب المقدس والأفكار الأسطورية التي يحويها، ومن ثم رفض أي محاولة للتأثر الخفي بالدين، وبالتالي فلا مجال لدى الفكر الربوبي للتوافيق بين الفكر الديني السائد في تلك الحقبة وبين العقل، بل ترفض

(١) فيلسوف أيرلندي، (١٦٧٠–١٧٢٢م) كتب العديد من الكتب حول فلسفة الدين والفلسفة السياسية، والتي من أشهرها "المسيحية غير الغامضة" (١٦٩٦) والذي كان السبب في اضطهاده من قبل الكنيسة حيث ذكر أن العقل يستطيع فهم كل شيء من خلال المبادئ الطبيعية كما أن الوحي الإلهي للكتاب المقدس لا يحتوي على أسرار حقيقية؛ ولهذه الحجة تمت محاكمته من قبل هيئة محلفين كبرى في لندن. واقترحوا حرقه على الملأ، لكن لم يتمكنوا من القبض عليه، فقاموا بحرق ثلاث نسخ من الكتاب في دبلن، يراجع قصة الحضارة – ول ديورَانت ج ٣٤ ص٣١ وما بعدها.

(٢) يراجع موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب – شارل حلو وآخرون ج١ص ٣٣٦ دار الكتاب العلمية، مدارس النقد والتشكيك والرد عليها. حلمي القمص يعقوب ج ٢

(٣) يراجع تاريخ الفلسفة الحديثة – وليم كلي رايت ص ٢٢٨ ترجمة: محمود سيد أحمد – ط أولي بيرت– التنوير للطباعة ٢٠١٠م، ويراجع مغامرات الفكر الأوروبي قصة الأفكار الغربية – جاكلين روس ص ٢٣٤ ترجمة: أمل دييو ط أولي أبو ظبي ٢٠١١م.

(٤) تماما كما كان يقول نتشه، يراجع مغامرات الفكر الأوروبي قصة الأفكار الغربية – جاكلين روس ص ٣٨٥.

كل ما يمت للدين مستعيضة عن ذلك بدينها الجديد القائم على العقل بعيداً عن تحكم الإله إذ أنه مبتور الصلة بالعالم بعد عملية الخلق([1]).

الخطوة الثالثة: هيمنة الطبيعة على ما سواها.

تري الربوبية أن الرب خلق العالم ولم يعد لديه عناية به البتة، ومن ثم فالطبيعة([2]) هي التي تتحكم في الكون عن طريق التطور، وبالتالي فهي وحدها المهيمنة على ما سواها.

أضف إلى ذلك اعتقادهم بأن هوية الإنسان مسرى معقد من التفاعلات الحية مع الطبيعة المحيطة به([3])، ولما كانت العلاقة بين الطبيعة والإنسان علاقة متداخلة بحكم أنه جزء من الطبيعة، في نفس الوقت استطاع الهيمنة على الطبيعة، والسيطرة عليها جزئياً بالعقل، وهنا ظهرت بعض النظريات التي تؤكد حتمية التقدم كالنظرية الماركسية القائمة على وجوب التطور الاجتماعي

(١) يراجع أفكار ورجال قصة الفكر الغربي – كرين برنتن ص٤٠٧ ترجمة: محمود محمود– مؤسسة هنداوي.

(٢) لكن لم تبين الربوبية ما المقصود بالطبيعة هل هي المبدأ الناظم الذي يحكم الكائنات، ويضبط إيقاع نموها وعلي ذلك فهي تنطوي على علة نشأتها وتطورها، وتعارض وتخالف التقنية والتطور الذي يفترض عليها تبديلاً متعمداً قاهراً. أم المقصود بالطبيعة ماهية الكائنات، من حيث صفاتها وخصائصها التي تميز كل كائن عن الآخر وتجعله يندرج إلى صنفه الأوسع، أم المقصور بها العنصر الكامن التلقائي اللصيق بالكائنات المنتمية إلى صنف من الأصناف، قبل أن تصيبه عوامل التغيير التي يستحدثها العقل الناظر أو الفعل الناجز، أو تعني مجموع الكائنات سواء كانت حيوانية أو نباتية أو معدنية والتي تخضع لنواميس الكون العامة.

(٣) إذ كان السائد لديهم في هذا الوقت افتراض حتمية التقدم تأثرا بأفكار داروين عن النشوء والارتقاء تلك الأفكار القائمة على افتراض حتمية التطور في مجال الأحياء يراجع مغامرات الفكر الأوروبي قصة الأفكار الغربية – جاكلين روس ص ١٥٩ وما بعدها.

والاقتصادي([1]).

وعلى الرغم من ذلك لم يستطع الإنسان السيطرة على الطبيعة بشكل كامل، إذ تغيرت تلك النظريات وتلاشت وتبين أن الطبيعة ليست عنصراً خاملاً، فلها قوانينها وسننها الكونية التي يجب على الإنسان احترامها، وإلا فإن الطبيعة تفاجئه بما قد لا يسره، وتفسد عليه حياته، ناهيك عن التحكم فيها، فما زالت هناك أنواع عديدة من الفيروسات خارج قدرة الإنسان.

وترتيباً على ما سبق يتضح أن الفكر الربوبي يعتقد في هيمنة الطبيعة على ما سواها بعيداً عن هيمنة الخالق فالطبيعة هي وحدها المسيطرة ولا دخل للإله مطلقاً في ذلك.

الخطوة الرابعة: التخلص من فكرة الغيبيات:

طوفت الربوبية في غير ترقق مشككة في صحة الكتاب المقدس، وإنكار الوحي الإلهي واليوم الآخر، ولقد وجه شافتسبري الثالث (١٦٧١-١٧١٣م) – أحد أشهر كتاب الفكر الربوبي – سهام النقد إلى الوحي واصفاً أياه بكونه عديم الفائدة بل ومؤذ بشكل إيجابي من خلال ما يفرضه من عقوبات، وما يمنحه من مكافئات، لذا فهو يقرر أن الكتاب المقدس ثمرة تم زراعتها([2]) ورعايتها من جانب رجال الدين؛لتدعيم سلطانهم ونفوذهم"([3]).

ويؤسس الفكر الربوبي لمنهجه في التخلص من فكرة الغيبيات على سند من القول بأن المعقول هو الطبيعي وليس هناك ما هو فوق ذلك، ومن ثم فهم لا يعترفون بالمجهول الذي لابد أن يتحول يوما ما إلى معلوم، لذا يرفضون

---

(١) لمزيد من التفصيل في ذلك يراجع – حول الدين– كارل ماركس و فريدريك إنجلز – رأس المال – كارل ماركس – العائلة–المقدسة – كارل ماركس و فريدريك إنجلز.

(٢) وهو بذلك متفقا مع "بلونت" ويعتبر كتابه "خصائص الرجال" انعكاسا لهذا الفكر.

(٣) الموسوعة الكاثوليكية. المجلد. ٤، https://٢u.pw/jDgvQS

المستحيل؛ ميلاً إلى أبعاد الخالق وكل ما ليس طبيعيا من الكون.

٣- مرحلة الإعلان عن المذهب: وقد مرت هذه المرحلة بأربع خطوات:

الخطوة الأولى: حشد أعضاء لهم وزن مجتمعي

حيث كان من أنصار الربوبية في العديد من الدول الغربية أناس لهم ثقل في النواحي السياسية مما أثر بشكل كبير على تقبل الأغرار لهذا المذهب، ففي ألمانيا كان هتلر "الذي اضطهد القساوسة وصادر أملاك الكنائس مهاجماً لهم معرباً عن قناعته بالربوبية"(١).

وفي أمريكا كانا "بنيامين فرانكلين"(٢)، و "توماس جيفرسون"(٣) من المؤيدين للفكر الربوبي، كرد فعل معارض لمذهب "كالفن"(٤) المتشدد القائل بالسيادة المطلقة لله التي تتحكم في الطبيعة وأفعال البشر.

وترتيباً على ذلك فإن الربوبية ترفض المسيحية التقليدية والكتاب المقدس مؤكدين على أن المسيح ليس إلا معلم أخلاقي، منادينا بتأسيس الأخلاق على أسس مستقلة عن اللاهوت(٥).

---

(١) يراجع https://٢u.pw/jDg٧QS

(٢) (١٧٠٦ – ١٧٩٠م) أحد المؤسسين للولايات المتحدة. فيلسوفًا وكاتبًا سياسيًا، عالمًا ومخترع ودبلوماسيًا.، فقد كان شخصية بارزة في التنوير الأمريكي وفي تاريخ الفيزياء بسبب اكتشافاته ونظرياته في الكهرباء. وكمخترع، فهو معروف بمانع الصواعق والنظارات ثنائية البؤرة وموقد فرانكلين، وغيرها من الاختراعات. أسس العديد من المنظمات المدنية يراجع https://٢u.pw/eFV٩Ap

(٣) ١٧٤٣ – ١٨٢٦م)، بولاية فرجينيا، هو أحد المؤسسين لأمريكا، وثالث رئيس لها (١٨٠١–١٨٠٩م). متحدثاً باسم الديمقراطية، نادى بمبادئ حقوق الإنسان، وكان له تأثير عالمي. في مطلع الثورة الأمريكية يراجع https://٢u.pw/eb٧٦gK .

(٤) جان كالفن (١٥٠٩–١٥٦٤م) عالم لاهوت وقس على المذهب البروتستانتي.

(٥) تاريخ الفلسفة الحديثة- كلى رايت ص٢٤٨.

الخطوة الثانية: الإعلان عن الربوبية في الوسائل المختلفة:

لم تكتف الربوبية بمهاجمة الكنيسة ورجال الدين المسيحي بل قاموا بالدعوة للربوبية مستغلين الوسائل المتاحة لديهم في نشر أفكارهم من خلال عقد الندوات، واللقاءات ونشر الكتب التي تدعوا للمذهب الربوبي، وأخيراً عمل مدونات ومواقع على الانترنت في العصر الحديث، لمهاجمة الأديان ونشر مذهبهم.

ولقد بدأ ذلك واضحاً من خلال كتاب توماس تشب(١) (١٦٧٩-١٧٤٦م) الذي حمل عنوان "خطاب متعلق بالعقل"(٢) وأظهر فيه المسيح على أنه مجرد شخص طبيعي لا يفوق الباقين بشيء، كما أكد على أن الإنجيل الحقيقي ما هو إلا تطور تاريخي للربوبية(٣).

أضف إلى ذلك ما أورده - ماثيو تندال(٤) (١٦٥٧-١٧٣٣) في كتابه

(١) توماس تشب ١٦٧٩ -١٧٤٧) كاتب إنجليزي ربوبي ولد بالقرب من سالزبوري.

(٢) الموسوعة الكاثوليكية. المجلد ٤.

(٣) وهو بهذا يرى أن الافكار الربوبية تسبق الدين النصراني من حيث التاريخ الزمني لها.

(٤) مؤلف إنجليزي ربوبي بارز ولد عام ١٦٥٣م لأب كان يعمل قسيس بالكنيسة ورئيس جامعة فيريس، درس القانون في أكسفورد، على يد رجل الكنيسة جورج هيكس تقلد العديد من الوظائف منها زميلًا لكلية عن كنيسة روما" ولكن بعد أن أدرك "سخافات البابوية"، عاد إلى كنيسة إنجلترا في عيد الفصح عام ١٦٨٨م. كما تولي نائب القاضي للمحامي العام للأسطول توفى ١٧٣٣م، اعتقد تندال أن المبادئ الأساسية للمسيحية هي معرفة عامة، تم الحصول عليها من خلال العقل البشري ومن الطبيعة. لذا فإن الحقائق الدينية كانت معروفة للبشرية منذ بداية الزمن، لكن تمت إضافة أمور إضافية غير معقولة في وقت لاحق من قبل قادة الكنيسة الذين دفعوا معتقداتهم الخاصة إلى الجماهير وألزموهم بها. https://ar.kineshma.net/Matthew-Tindal-٧١٤٤

"المسيحية قديمة قدم الخلق"([1]) والذي جرد فيه الدين المسيحي من الأوهام اللاهوتية، مؤكداً على أنه لا حاجة إلى المسيحية وأن الطبيعة فيها ما يكفي، بعيداً عن الوحي.([2])

الخطوة الثالثة: تدريس الأفكار الربوبية في مدارس تتقبله([3]):

استرسلت الربوبية في بناء دين قائم على نظام فلسفي سار بها حتى بلغ الإله ذاته، فهو لا يتدخل في مجري الأمور، وليس هناك معجزات لا يمكن التنبؤ بها، ولا يوجد عالم آخروي لا معقول، إنما الكون عدد ضخم من أشياء مادية تتكون، وتتحد مكونة أنماطاً مختلفة ومعقدة من نفسها، أما الإله وعنايته بالكون فهي وهم؛لأنه بعيداً غير شخصي، مدعمة موقفها- حسب زعمها – بالعقل رافضة أي وحي، وقد قام الربوبيون بنشر تلك الأفكار من خلال مساندتهم الفلاسفة العقلانيون فيما بعد فقد تأثرت بهم وأثروا فيهم، حتى اندمجت أفكارهم معا وسارت تدرس تحت مسمي المنهج العقلي الذي يعد بدوره صورة، أو مسمي ثاني لها.

الخطوة الرابعة: ترجمة الكتب والمقالات التي حملت المذهب الربوبي إلى اللغات المختلفة:

حرص كتاب الفكر الربوبي على نقل أفكارهم من لغة المؤسسين إلى اللغات الأخرى؛كي تنتشر أفكارهم على نطاق أوسع في مختلف دول العالم، ومنها ترجمة كتبهم([4]) إلى اللغات الرئيسة في العالم والأوسع انتشاراً ومنها الفرنسية والألمانية والعربية وغيرها من اللغات الأخرى، وقد ساعدت الوسائل

(١) يعتبر هذا الكتاب بمثابة الكتاب المقدس للربوبين و المركز المحوري لجدالهم.

(٢) الموسوعة الكاثوليكية. المجلد ٤.

(٣) كالمنهج العقلي، والمنهج الحداثي والفكر التنوير حديثا والإلحاد هو الجامع لهم جميعا.

(٤) ككتاب عصر العقل لتوماس بين.

الالكترونية الحديثة على نشر أفكارهم بين الأغيار بسرعة كبيرة، وساندهم في ذلك الفكر الإلحاد ومن يقف خلفه من أصابع خفية لمهاجمة الأديان.

يتضح مما سبق أن المراحل الفكرية للربوبية يجمعها قاسم مشترك في جميع مراحلها معتمدة على عدة محاور يمكن حصرها في مهاجمة الدين المسيحي.

كما اعتمدت أيضاً على المنهج العقلي كوسيلة لإهدار كل ما هو غيبي يدركه العقل؛ وصولاً إلى إنكار الوحي بشكل كامل مسوقين لمذهبهم من خلال مجموعة من مشاهير السياسة، ورجال الفكر الفلسفي وأدرجوا أفكارهم ضمن مذاهب فلسفية أخري لإسباغ الطابع العلمي على أفكارهم، ومن ثم أسسوا لفكرة وجود إله غائب يقتصر دوره على مجرد الخلق ابتداءً.

والحكمة الواضحة من وراء ذلك رغبتهم في التحلل من التكاليف الشرعية، فالخالق الذي لا عناية له بخلقه لا يمكن أن يطلب منهم تكاليف شرعية يلزمهم بها وذلك بسبب كونه غائب لا علاقة له بالكون، ويتضح مما سبق أيضا أن إنكار عدد كبير منهم لفكرة العناية يرجع إلى رغبتهم الحثيثة في إنكار الوحي ودعوتهم لدين لا يعتمد إلا على إتباع الهوى.

وترتيباً على ما سبق يمكن القول وبحق أن كافة المراحل الفكرية وما ورد بها في جانب العناية جاءت مجردة عن المنطق العلمي والعقلي السليم، وتقود في النهاية إلى هدم بنائهم الفكري الذي أقاموا عليه حجتهم، إذ يؤمنون بوجود إله، وفي نفس الوقت لا يعترفون بعنايته بالكون، فكيف يخلق الإله الكون ولا يعتني بما خلقه وأوجده من العدم وكيف يستمر الكون في عمله بدقة بالغة دون إله يعتني به ويرعاه؟!

وحيث إني قد انتهيت من عرض التعريف بالعناية الإلهية ومراحل ظهور الفكر الربوبي، يتعين علىً عرض موقفهم من العناية الإلهية، ومن ثم تقيم ما إليه ينتهون من خلال بيان موقف القرآن الكريم منها وذلك من خلال المبحث الثاني.

المبحث الثاني
الفكر الربوبي والعناية الإلهية وموقف الإسلام منه

المطلب الأول
الاتجاهات الربوبية في العناية الإلهية

لما كان الفكر الربوبي ظاهرياً يعترف بوجود خالق للكون إلا أنه إزاء مسألة العناية الإلهية حوي العديد من الآراء ما بين القبول والرفض، بل والوقوف موقفاً وسطاً بين هذا وذاك، ومن ثم يمكن تقسيم موقف الفكر الربوبي من العناية الإلهية إلى ثلاث اتجاهات على النحو الآتي:

أولا: الاتجاه المنكر للعناية الإلهية:

يرى أنصار هذا الاتجاه أن فكرة العناية الإلهية، لا وجود لها، فهي لا تعدو أن تكون إلا وهماً من الأوهام، ولا يوجد مبرر عقلي للاعتقاد بأن الله يولى اهتماما بالبشر، ومن ثم فالإيمان بها يعد أقنوماً من أقانيم الألوهية المرفوضة؛ لأنه يتعارض مع مقام الله، إذ تقتصر وظيفة الإله على مجرد الخلق، والإدارة الأولية للكون، بيد أنه لا يتدخل فيه ولا ضرورة لدية لأن يشغل نفسه بأعمال خليقته التي وهبها الكمال(١).

في نفس الوقت يدعى هذا الاتجاه أن الإله أشبه بصانع الساعات دفع العالم للتحرك وفقًا لقوانين الطبيعة، ثم تركه يسير وقفاً لما يصنع العالم لنفسه من قواعد، ومن ثم فمن غير المجدي الصلاة لمثل هذا الإله، إذ يعتبر عديم

(١) يراجع تكوين العقل الحديث –جون هرمان راندال – ج١ ص ٤٣٠، ٤٣١. الموسوعة الفلسفية المختصرة – أرمسون ص ٣١٧، دليل أكسفورد للفلسفة ج ٢ ص ٤٠٤ الدين من منظور فلسفي –روبرت س بلمون ص ١٨٥، ١٨٦ ترجمة: حسون السراى – العارف للمطبوعات ط أولى ٢٠٠٩م.

الفائدة([1])، لذلك فلا دخل للإله مطلقاً في قوانين الكون وتدبير شؤونه إذ انتهت مهمته بالخلق، فلن يشارك الله أبدًا في إدارة هذا العالم الميكانيكي وفقًا لقوانين الطبيعة فالناس متروكون وشأنهم لقد خلقهم الإله جزء من آلته، ورتب لهم أن يعيشوا حياتهم، وزودهم بموهبة خاصة، وأرشدهم لمعرفة كيفية العيش بعقولهم([2]).

وعلى الرغم من ذلك فعندما يحدث أي تناقض أو عطل في الكون، فإن الواحدة منها تصحح الأخرى بشكل دوري وآلي، وبدون تدخل الإله، وفائدة الإله الوحيدة تكمن في أنه يعمل على أساس أخلاقي، فيعاقب الأشرار ويكافئ الأبرار([3])، ومن ثم يؤكد أنصار هذا الاتجاه من الفكر الربوبي أن الرب قد غادر بعد عملية الخلق، مؤسسًا القانون الطبيعي لعمل الكون، ولم يعد له أي صلة بالخلق.

ويعد "ديدرو" من أبرز المنكرين لفكرة العناية الإلهية، إذ تدرج من القول بوجود إله منكراً العناية الإلهية، ثم لجأ إلى تبنى مذهب الأحادية المادية([4])،

(١) يراجع أفكار ورجال قصة الفكر الغربي – كرين برنتن ص٤٠٧.

(٢) تراثنا الروحى من بدايات التاريخ الى الأديان المعاصرة – سهيل بشروئى آخرون– دراسة الدين ص٢/١٧.

(٣) يراجع ل جون هرمان راندال – تكوين العقل الحديث ج١ ص٤٣٠، ٤٣١.

(٤) تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص٢٠١، والأحادية المادية هي نظرية فلسفية تري أن كل ما في الكون يتكون من مادة واحدة وأن هذه المادة حية بذاتها فتتطور ابتداء من خلية واحدة ولهذا فالوحدة هي الخاصية الأساسية للكون، وكل ما هو ناتج في الكون بما فيه الجوانب العقلية هي ناتج لهذه التفاعلات المادية ومن أشهر من قال بذلك فلاسفة ما قبل سقراط كطاليس الذي رأى أن أصل العالم هو الماء بينما قال أناكسيمينيس أن أصله هو الهواء، في حين ذهب هيراكليتوس إلى أن أصل العالم هو النار وهنا "ديدور" ينقل ذلك عنهم في حين لا يدعم قوله بالأدلة أو الحجج العقلية ويكتفي بالنقل فقط.

أضف إلى ذلك فهذا الاتجاه يقيم منهجه على استبعاد العناية الإلهية تأسيساً على أنها تعد تدخلاً من الإله في الكون وهو ما يعتبر – وفق قولهم– من قبيل الإهانة له، ومن ثم فهو لا يحتاج إلى إجراء تعديلات مستمرة في الكون، إذ يسمح الخالق للكون بالتطور والتكيف بدلاً من التدخل وإجراء التعديلات(١)، وبالتالي فلا يميزوا بين العالم والله على أنهما نتيجة وسبب؛ إذ يؤكدون على أن الإله لابد أن يسمو عن خلقة، ولا يبالي بتفاصيل حياتهم، فبعد أن خلقهم سمح للطبيعة أن تسير في مسارها دون حاجة إلى تدخل منه(٢).

وترتيباً على ما سبق ترى الباحثة أن ما قرره هؤلاء من إنكار لفكرة العناية الإلهية يعد نقطة التقاء بين فلاسفة اليونان القدماء وغيرهم من المحدثين، والقاسم المشترك بينهم عزل الإله عن الإنسان والكون، متمسكين بالجدال العقيم ليعلنوا تأييدهم لما سبق أن نادى به أرسطو، إذ قرر أن الإله هو "المحرك غير المتحرك العقلي(٣) فهو ليس مادياً، ومن ثم فلا يقوم بأي عمل مادي، وينحصر نشاطه على أعمال العقل، فهو وفق قولهم عقل وعاقل ومعقول، بيد أن تفكيره قاصراً على ذاته فلا يعقل سواه، والقول بغير ذلك يؤدى إلى التغير في ذات

(١) يراجع الربوبية: عن الله الذي رحل– B.A. روبنسون – مستشاري أونتاريو للتسامح الديني١٩٩٩– http://www.religioustolerance.org/deism٣.htm، وهم في ذلك ناقلين لفكر أرسطو القائل بنفي أي فعل لله، زاعما أن صدور الأفعال عن الله يعد من قبيل النقص فهو المحرك غير المتحرك كما سوف يأتي.

(٢) يراجع الموسوعة الكاثولكية

https://www.newadvent.org/cathen/٠٤٦٧٩b.htm

(٣) ومن الجدير بالذكر أن موقف أرسطو من العناية الإلهية متضارب وفق ما نقل عنه إذ تارة ينكر العناية الإلهية، وتارة أخري يقرر أنها عناية كلية.

الإله وهو ما يعد نقصاً؛ وبالتالي فليس لديه ثمة عناية بالكون(١)، ولا حاجة لهم إلى هذا الإله الذي ترك العالم ورحل، فليهجر الإنسان العبادة كما هجرهم الإله.

ولما كان الفكر الربوبى يؤكد على وجود إله خالق للكون فقد جانبهم الصواب ووقعوا في التناقض من حيث لا يحتسبون، إذ أن فكرة الخلق والعناية الإلهية وثيقة الصلة وتستبع الواحدة منهما الأخرى، فكليهما متلازمتان لا انفكاك لأحدهما عن الأخر، بيد أنهم اقتضبوا إنكار العناية الإلهية من أرسطو الذي أنكر أن يكون الله خالقاً للعالم؛حتى ينفى عنه العناية الإلهية سعياً منه إلى تنزيه الإله، بيد أنه أخطأ خطاً ذريعاً.

علاوة على ذلك يبدو واضحاً تأثرهم بفكر فلاسفة الإغريق ك "هيرقليطس" الذي كان يرى أن الإله لما قضى في الأزل بوجود الأشياء تركها لتدبير خلقه، ولم يعد يتدخل فيها بأي نوع من أنواع التدخل(٢).

ولا يخفي على أحد تأثرهم بفكر الأبيقوريين(٣) التي تعتبر العناية وهم من الأوهام التي يجب القضاء عليها، لمخالفتها للواقع الملموس وهو وجود الشر في العالم، فالإنسان في العالم حيوان أعزل، لا حول له، بل كل شيء في الكون الخارجي يؤذن قطعاً بعدم وجودها، وعلي فرض وجود العناية الإلهية؛ فيجب

(١) الفلاسفة الإغريق من طاليس إلى أرسطو– و. ك. س. جثري: ص ١٥٠ ترجمة: رأفت حليم سيف.

(٢) مختصر ترجمة: مشاهير قدماء الفلاسفة: ديوجين لايرتيوس ص ٧١ ترجمة: عبد الله حسين، ط القاهرة المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٦م.

(٣) تنسب إلى الفيلسوف اليوناني أبيقور (٣٤١–٢٧٠ ق.م) اشتهر بمذهب المتعة والتي تعني أن المتعة الحسية هي الهدف والغاية من الوجود معتبرا الإدراك الحسي هو أساس المعرفة الوحيد، يراجع معجم أعلام المورد – منير البعلبكى ص ٤٦ – دار العلم للملايين ط أولى ١٩٩٢م، المعجم الفلسفي جميل صليبا ج ١ص ٣٤.

أن يكون الإله عرضة للشر والألم، فيحدث فيه تغير مستمر وهذا يتناقض مع مقام الألوهية(١)، ولهذا يجب إنكار كل عناية إلهية للعالم بأثره.

من خلال ما سبق أود الوصول إلى نتيجة مهمة من شأنها أن توضح كيفية وصولهم لتأسيس فكرة إنكار العناية الإلهية وهى تأثرهم الواضح بفكر فلاسفة اليونان تدعيما لموقفهم البين من الإلهية، كما أود لفت الانتباه إلي أن إنكارهم للعناية الإلهية يتعارض مع قولهم بالغائية(٢) والتي عولوا عليها في الاستدلال على وجود الخالق.

وإضافة إلى ما سبق فإن ما يردده هذا الاتجاه من أن الكون يصلح نفسه ذاتياً يظهر التشابه الواضح، والتأثر بقول ديكارت بالآلية الميكانيكية للعالم المادي، حيث انطلق ديكارت من فرضية مؤداها أن الخاصية الأساسية لوجود المادة تتمثل في التمدد، وهو ما وصل به إلى تصور أن الكون بما فيه من إنسان وحيوان يشبه تماماً الآلة التي تدبر العالم المادي، ومن ثم فإن هذا الجسم ما هو إلا محض آلة ميكانيكية(٣).

ومجمل القول أن الحضور الغالب في الفكر الربوبي كان بتأثير من الفلسفة اليونانية – كما سبق القول – وفكر ديكارت، فقد نسخوا من فلسفاتهم، ونسجوا

---

(١) يراجع خريف الفكر اليوناني – عبد الرحمن بدوي ص ٥٧، ٥٨ مكتبة النهضة ط ١٩٧٩م.

(٢) مفاد دليل العلة الغائية "أن وجود العالم، وتنسيقه يدل على وجود الله، فحين أرى ساعة يدل عقاربها على الوقت، استنتج أن كائنا ذكياً قد رتب أجزاءها المتغيرة، وعندما أرى أعضاء البشر استنتج أن كائنا ذكياً قد رتب هذه الأعضاء يراجع تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف كرم ص ٢٠٠، تكوين العقل السليم – راندال ج ١ ص ٤٣٠.

(٣) تراثنا الروحى من بدايات التاريخ إلى الأديان المعاصرة – سهيل بشروئى وآخرون – دراسة الدين ص ٣/١٧.

على منوالهم أقوالا متضاربة أسهمت في صياغة مذهبهم بشكل متناقض، ونزوع شديد نحو رفض الأديان فتركوا كم هائل من التضارب، والاختلاف حول قضية العناية الإلهية.

ثانيا: الاتجاه المؤيد للعناية الإلهية المشروطة:

اتفق أنصار هذا الفريق فيما بينهم على أن العناية الإلهية لا تتدخل في شئون الكون إلا وفق شروط ولكنهم اختلفوا في تحديد هذه الشروط وبيانها على النحو الآتي:-

١- يرى جانب من أنصار هذا الاتجاه أن الله لا يتدخل في شؤون الكون، إلا بشرط حدوث أعطال في العالم، وهنا يتوجب على الإله التدخل لإصلاحها، إذ هو بمثابة صانع الساعة – على حد تعبيرهم – مما يستوجب " تكليفات دورية، أي أن ساعة الكون لابد من إرسالها بين حين وآخر لصانعها من أجل إصلاحها"(١)، ويستدل هؤلاء بما فعله "جورج واشنطن" عندما واجه إما إخلاء محفوف بالمخاطر للقوات الأمريكية من "لونغ آيلاند" أو استسلامهم، فاختار الإخلاء الأكثر خطورة، وعندما سئل عن إمكانية القضاء عليهم، قال إنه أفضل ما يمكنه فعله والباقي متروك للعناية الإلهية.(٢)

على الرغم من أن هذا الفريق قال بإثبات العناية المشروطة لله إلا إنهم اختلفوا فيما بينهم عما كانت هذه العناية كلية أم جزئية، عامة، أم محدودة فعند فولتير العناية كلية "لا تشمل الجزئيات، فالإله قد وضع قوانين عامة تتحكم في

(١) يراجع ل جون هرمان راندال – تكوين العقل الحديث ج ١ ص ٤٣٠، ٤٣١.

(٢) https://www.deism.com/deism_defined.htm مقال بعنوان مرحبا بكم في الربوبية، مدونة الربوبى العربى – الرب أعطانا عقلا لا دليل – العقيدة الربوبية ٢٩-١٠-٢٠١٠، ٢٣ يونيو ٢٠٠٩م

http://deistarab.blogspot.com/٢٠١٤/٠٢/blog-post.html

تدبير الكون([1])، وهو متأثر بفكر أرسطو الذي كان يري أن العناية الإلهية كلية لا تشمل الجزئيات الفاسدة([2])، إما الجزئيات المتغيرة فتتأتي من الإله بطريق غير مباشر بواسطة الأفلاك والأجرام السماوية كالشمس والقمر، إذ القوي المنبعثة منها تحفظها من الفساد المؤقت.

وقرر البعض الأخر منهم أن عناية الإله محددة، ومن ثم فقد استبعد كل وحي ولم يجد نفسه ملزماً لتنفيذ مقتضيات العدالة إلا وفقاً لما يتطلبه الصالح العام للمجتمع أو الخاص للأفراد، دون أن يهتم بوجود حساباً لحياة أخري، إذ لا ينتظر الربوبي حياة أخري؛ لأنه لا يؤمن بها([3]).

٢- يري جانب من أنصار هذا الاتجاه أن عناية الله بالكون لا تتدخل إلا من أجل التطوير. إذ يذهب أحدهم إلى القول بأن الإله قد تدخل في تطور الأنواع مستخدماً التطور كوسيلة لتوجيه النماء النهائي للبشرية([4]).

وتشير هذه النظرية أن تطور أنواع المخلوقات من كائن وحيد الخلية إلى الإنسان بصورته الحالية، قد تطورت على مدى ٣.٥ مليار عام، وهذا نتيجة لعمليات طبيعية ميكانيكية تحدث تلقائياً، لم يشارك فيها الإله، وهذا يتفق مع معتقدات معظم الربوبين، لأنه يؤكد أن الإله خلق الكون ثم غادر.([5])

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة – يوسف كرم ص ٢٠٠.

(٢) وعلى أثره تتبع خطاه ابن سينا وقال بأن الله يعلم الجزئيات بعلم كلى وكفرهم الغزالي بذلك كما قام بالرد عليهم العديد من العلماء يراجع الاقتصاد في الاعتقاد – الغزالي ص١٣٤ بيروت – دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ٢٠٠٤م، تهافت الفلاسفة- الغزالي٠ ٣٨ – لجنة التراث العربي، لسان الميزان – العسقلاني ج ٣ ص ١٧٩- تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة – المطبوعات الإسلامية.

(٣) يراجع مغامرات الفكر الأوروبي قصة الأفكار الغربية – جاكلين روس ص ٢٣٨.

(٤) يراجع الربوبية: عن الله الذي رحل- B.A. روبنسون – مستشاري أونتاريو للتسامح الديني١٩٩٩- http://www.religioustolerance.org/deism٣.htm

(٥) يراجع الربوبية: عن الله الذي رحل- B.A. روبنسون – مستشاري أونتاريو للتسامح الديني ١٩٩٩م.

وترتيباً على ذلك يعد هذا الفريق من المؤيدين لفكرة التطور الإلهي(١) القائل بأنه يوجد إله ليس له تأثير مباشر في الكون، ربما يكون قد خلق مواد البناء وقوانين الطبيعة، ثم تراجع وترك خليقته تأخذ مجراها، وعلى ذلك فالحياة قد نشأت تدريجياً من مادة جامدة.

يتضح مما سبق أن هؤلاء متأثرين بنظرية دارون عن تطور الأنواع، أو التطور الطبيعي والتي مضمونها أن كل كائن حي إما أن يتكون من خلية واحدة، أو من خلايا متعددة، فالإنسان نفسه يتكون من عدد لا نهائي من الخلايا وفق لما يعرف بشجرة دارون لتطور الحياة (السمك تطور إلى البرمائيات، ثم تطور إلى الزواحف ومنها إلى الطيور التي أنتجت الثدييات...الخ) وقد تطور الإنسان على مدار سنوات عديدة تقدّر بنحو ستة ملايين سنة مرورا بعمليات طويلة حوت سلسلة كبيرة من التغيرات، مؤكدة – على حد قولهم –أن أصله هو من الأسلاف الشبيهين بالقرود، من منطلق أن الأدلة تؤيد أن جميع الصفات المشتركة بين البشر هي في الأصل تتبع من أسلافهم الشبيهين بالقرود(٢).

وتري الباحثة أن إقرار هؤلاء بالعناية الإلهية المشروطة – بحدوث خلل أو عطل في الكون، وإذا لم يحدث ذلك فلا عناية – يتعارض مع الفطرة السليمة والمنطق العقلي القويم، إذ أن القول بوجود عطل في العالم يستتبع منطقيا وجود من يقرر أو يكشف هذا العطل فمن هو إذا؟! فإن كان الإله، فإن مجرد معرفته

(١) تري نظرية التطور الإلهية أنه يوجد إله ولكنه قد انقطعت صلته بالكون نهائيا إذ قد خلق مواد بتائه وقد يكون أوجد قوانينه بيد انه تراجع وترك الخلق ومن ثم فقد نشأت الحياة من مادة غير حية تدريجيا– يراجع نشأة الحياة والإنسان– محمد خلاوي– دار الكتب.

(٢) يراجع أصل الأنواع – تشارلز داروين ترجمة: إسماعيل مظهر ص ٤٥: ٤٩ مؤسسة هنداوي.

بوجود عطل أو خلل يعد صورة من صور العناية؛ فالصانع إذا تابع صنعته وعلم ما فيها من عطل، أو خطأ فهو إذا يعتني بها، والقول بأن الإله لا يتدخل إلا لإصلاح الكون يؤدي بالتالي إلى إنكار وجود الله –وهذا خلاف ما تؤكده الربوبية– لأنه يعد غائباً في حال إذا كان الكون خالي من الأعطال فهو يظهر ويغيب، وهذا يتناقض عقلاً مع ما يسلم به هؤلاء من أن الإله موجود في جميع أجزاء الكون، فكيف يكون موجوداً في الكون ويظهر أحياناً ويغيب أخري؟.

أضف إلى ذلك إن اختلاف هذه الفريق في إثبات العناية المشروطة للخالق، يدل على نفيها عنه مطلقاً، إذ ما الفائدة من وضع قوانين عامة للكون لا تجد من يتابعها، أو يراقب عملها؛ ليتحقق من فاعليتها وجدواها في الواقع العملي، كما أن القول بأن هذه العناية محدودة فيه تناقض، فكيف يعتني الإله بكون فسيح عناية محدودة أو مقيدة ؟! فالكون يحوي العديد من المخلوقات الحية، وكل مخلوق يحوي بداخله أجهزة، وكل جهاز يتكون من أعضاء، وكل عضو يتكون من أنسجة، وكل نسيج يتكون من خلايا، والخلايا تتكون من جسيمات أصغر منها وجميعها جزئيات دقيقة تمثل في النهاية الكون الفسيح، فكيف يهتم الإله بالكليات ويترك هذه الجزئيات تعمل ذاتيا ؟! وماذا لو حدث العطل في الجزئيات؟ هل يتدخل الإله أم يقف عاجزاً عن التدخل بحجة أن عنايته محدودة ؟! وكيف لصاحب العناية المحدودة أن يخلق ويراقب ويصلح كون لا محدود ولا نهاية له ؟!

علاوة على ذلك فإن قولهم بأن الإله لا يتدخل إلا بغرض التطور يجانبه الصواب، والتسليم به يؤدي إلى الاضطراب وعدم اليقين حول وجود الإله نفسه، إذ أن التطور عملية مستمرة، فإذا كان الإله يتدخل من أجل تطوير المخلوقات الحية فلماذا تتوقف هذه العملية الآن ؟! فمن الثابت أن الإنسان بصورته الحالية كما هو منذ آلاف السنين فلماذا لم يتدخل الإله الآن في تطوره

؟! كما أن هذا المنطق يتعارض مع الحقائق العلمية التي تثبت على سبيل المثال أن الماء منذ خلقه الله يتكون من ذرتي هيدروجين وذرة أكسجين فهل تطور الماء منذ بدء الخليقة حتى الآن ؟!

وهل يستطيع هؤلاء أن ينتجوا لنا ماء يحوي تركيباً مغايراً لهذا التركيب؟! فلو أن الماء يحدث له تطور لوجدنا له تركيبا في عصرنا الحالي يخالف تركيبه منذ أوجد الله الكون، وكذا الحيوانات فلماذا لم تتطور القرود الموجودة حالياً فتصبح إنساناً ؟! ولماذا ظلت كما هي حتى الآن، ومن ثم فإن نظرية التطور، أو ما يسمي بالتطور الإلهي لا وجود لها إلا في ذهن هؤلاء، وتخيلاتهم المريضة التي عجزت عن الربط بين قدرة الخالق، وعجز المخلوق عن تصور مكنونها وقوتها.

ثالثا: الاتجاه المتأرجح بين إثبات فكرة العناية الإلهية وإنكارها:

يعد فولتير من أبرز أنصار هذا الاتجاه فبعد أن أقر بإثبات العناية الكلية للخالق في إطار رده علي الملحدين بقوله: إن ما هو شر بالنسبة إليك هو خير في النظام العام"(١)، عاد أدراجه منكراً العناية الإلهية بعد حدوث زلزال برشلونة، الذي أودى بحياة الكثيرين، مبيناً أن وجود الشر يعد دليلاً قوياً لدي الملحدين على انعدام العناية الإلهية(٢)، والملاحظ عليه في قضية العناية الإلهية الترنح والتردد كعادة الفكر الربوبى.

والواقع أن الفكر الربوبى وقع في فجوة سحيقة؛ إذ ربط بين وجود الشر وانعدام العناية الإلهية، وهذا ربط في غير موضعه، إذ أن وجود الشر يرجع إلى طبيعة البشر التي خلقهم الله بها، إذ تحمل بين طياتها جوانب الشر إضافة

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة – يوسف كرم ص ٢٠٠.

(٢) يراجع تاريخ الفلسفة الحديثة – وليم كلي رايت ص ٢٣٣.

إلى جوانب الخير، فكلاهما مكونان أساسيان في طبيعة الإنسان، وهنا يأتي دور العقل والفطرة لكي تقيم التوازن بينهما، فإذا انتصر الشر على جوانب الخير استحق الإنسان عقاب الخالق، أما إذا انتصر الخير على طبائع الشر لديه استحق الثواب من الله تعالى.

وترتيباً على ذلك فإن وجود الشر من عدمه دليلاً على ضعف النفوس البشرية وعدم قدرتها على مواجهة قوي الانحراف والشر ولا علاقة له بوجود العناية الإلهية من عدمه، والدليل على ذلك أن عقاب الله لا ينزل بالإنسان بمجرد وقوعه في الشر بل يمهله المرة تلو الأخرى لعله يتفكر أو يعقل، أو يرجع إلى فطرته السليمة.

ويتضح مما سبق إصرار الفكر الربوبي على الربط بين ما يقع في الحوادث المرئية وبين الإيمان بالغيبيات، إذ لا يستطيعون التسليم بامتلاك الإله خوارق لا يستطيع العقل البشري إدراكها أو قياسها على أفكاره المحدودة التي تتقيد فقط بما هو محسوس أو مشاهد أو مجرد لذا فإن وجود الكون يعد دليلاً واضحاً على وجود خالق يمتلك عناية لا يدرك البشر حقيقتها أو مداها باستخدام قدرات بشرية محدودة.

إضافة إلى ذلك فالفكر الربوبي يظل عاجزاً في كل مرة عن استخدام الأدلة العقلية كحجة على إثبات ما يعتقدون من أفكار والدليل علي ذلك أنهم يؤمنون بوجود إله وينكرون على الملاحدة رفضهم التسليم بوجوده، وفي نفس الوقت يرون أن لديهم حجة واضحة تثبت إنكار العناية الإلهية متمثلة في وجود الشر في العالم، فكيف يؤمنون بفكر الملاحدة المبني علي إنكار وجود الإله، وفي نفس الوقت يستخدمون أفكارهم وأدلتهم ليقنعوا عقولهم بانعدام صفة العناية لدي الإله، فالمنطق يقتضي عدم الاعتراف بأدلة الملاحدة في هذا الشأن، إذ أنهم ينكرون وجود الإله ابتداء، فالإله لديهم غير موجود فكيف تكون له عناية.

ومن ثم فإن هذا الموقف دليلاً واضحاً على ضعف حجتهم، وانهيار بنائهم الفكري إذ لا يقوم على أساس وقواعد متينة، فالمنطق يقر أن الوجود يستلزم العناية، فما دام الإله موجوداً ويرونه في جميع أجزاء الكون، وما دامت هذه الأجزاء موجودة؛فلابد من وجود من يعتني بها، ومن ثم فتأييدهم للملاحدة بعد انتقادهم لهم واختلافهم الرئيس في العقيدة يدل دلالة قاطعة على انعدام الأساس الفكري لديهم، وتكمن الغاية من وراء ذلك رغبتهم في الربط غير المنطقي بين ما يعتقدون أنه صواب وبين ما يحدث في الواقع العملي للكون فلا يجدون غضاضة في التوافق مع غيرهم، أو إنكار ما يؤمنون به من أجل التأكيد على أمور يظنون أنها متوافقة من الناحية العقلية، ومن ثم لجأت الربوبية للقول بمحدودية قدرة الإله(١) – أي أنه ليس كلى القدرة –، وإنكار العناية الإلهية والزعم بأن هذا الإله العابث منقطع الصلة بالعالم بعد إجرائه عملية الخلق، تفادياً للتعارض بين إثبات وجود هذا الإله الذي لا عمل له، وبين قضية وجود الشر في العالم.

ومجمل القول أن موقف الربوبية من العناية الإلهية يستند إلى أمرين، أولهما: العشوائية والصدفة، إذ يقوم على اعتقاد أن أحوال الكون وما يحدث فيه ناتج من نتائج الصدفة، ثانيهما:الانتخاب الطبيعي بمعني أن الكون بما يحويه من كائنات حية لديه قدرة على التكييف مع البيئة من تلقاء نفسها ولا دخل للإله في ذلك، وعلى هذا فالكون بما يحويه يسير وفق قانون الانتخاب الطبيعي، ومن ثم فالفكر الربوبي يؤسس لفكرة انعزالية الإله وغيابه عن العالم بعد خلقه، وبالتالي يظهر تناقض الربوبية مع ما سبق أن أكدته من القول بوجود إله خالق للكون، وسوقها الأدلة التي تؤكد وجوده(٢).

(١) يراجع تاريخ الفكر الأوربي الحديث – رونالد ستورمبرج ص ١٨١.

(٢) يراجع الإلوهية في الفكر الربوبي وموقف الإسلام منها – فايقة محمد جاد ص ٧١٤ – ٧٢٣.

إضافة إلى ما سبق فقد استغل الفكر الربوبي إنكار العناية الإلهية أسوأ استغلال في محاربة الأديان السماوية، حيث بلغ بهم الأمر في الشطط والتعسف إلى إنكار الوحي الإلهي، والنبوة والمعجزات الإلهية الدالة عليها.

ويترتب على موقف الربوبية من العناية الإلهية الآتي:

١- قطع العلاقة بين الإنسان والإله، وانعدام المراقبة من الإنسان في أعماله للخالق، إذ ما الفائدة من ذلك إذ كان غائباً عن الكون منقطع الصلة به، ومن ثم فالعبادة له تعد من قبيل العبث المرفوض.

٢- تصوير الربوبية الإله بالجهل والقصور والغفلة عن مخلوقاته.

٣- استغل الربوبيون أفكار الفكر الإلحادي لتدعيم موقفهم من رفض العناية الإلهية وهذا تناقض واضح، إذ كيف ينكرون الإلحاد- كما يدعون – ومع هذا يتفقون معه في أفكاره ويستخدمون أدلتهم في تأييد رفضهم للعناية الإلهية ؟!

٤- ساهم موقفهم في رفض العناية الإلهية والقول بالإله الغائب في رفض التكاليف الشرعية ونشر الإباحية والفوضى الأخلاقية.

٥- يعد دليل العلة الغائية التي أعتمد عليه الربوبية لإثبات وجود الله رداً قوياً على إنكار العناية الإلهية.

٦- دعمت الربوبية موقفها من العناية الإلهية حتى صارت عندها عقيدة وأيديولوجية تتمسك بها لتدعيم منهجها في التحلل من التكاليف الشرعية.

وحيث انتهيت من الحديث عن فكرة العناية الإلهية في الفكر الربوبي حريا بي أن أبين عرض القرآن للعناية الإلهية وذلك من خلال المطلب الثاني:

المطلب الثاني
موقف الإسلام من العناية الإلهية

تناول القرآن الكريم قضية العناية الإلهية باعتبارها عقيدة يجب الإيمان بها، إذ هي مظهراً من مظاهر الربوبية، ودليلاً على الألوهية، وحينما عرض موضوع العناية الإلهية بني عليها تصوراً ومعتقداً لتسير عليه شؤون الحياة ويكون سبيلاً وطوقاً للنجاة؛ لمواجهة المستجدات من الفتن والأراجيف التي يدعيها المتفلسفة من الربوبين وغيرهم الذين أعلنوا انعزال الإله عن الكون والإنسان، فلا سيادة له عليه، بل ولا تدخل له في شؤونه، وعلى هذه الضلالات الربوبية بني عليها العديد من المذاهب الفلسفية، بل لا أتجاوز القول إذا قلت: إن الفكر الإلحادي نبع من عباءتها ونما على أصولها.

أما الإسلام فهو منهجاً لتقوم عليه الحياة، وطريقاً للفوز برضا الخالق وللنجاة من الفتن، ومن ثم كان تركيز القرآن الكريم على الإيمان بالربوبية والتي يستتبعها التأكيد علي العناية الإلهية بالكون بأثره قال تعالي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾(١)، فهو (ﷻ) القائم بتدبير أمور الخلائق في إيجادها وأرزاقها، فلا يمكن أن يسهو أو يغفل عن ملكه طرفة عين قال تعالي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾(٢)، وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ) بِأَرْبَعٍ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَنَامُ ولاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَرْفَعُ الْقِسْطَ وَيَخْفِضُهُ، وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ بِاللَّيْلِ، وَعَمَلُ

(١) سورة فاطر الآية ٤١.

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٥٥.

اللَّيْلِ بِالنَّهَارِ"(١) فكل أحوال الكون تسير بعناية الخالق وفق تدبير حكيم ونظام دقيق لا يحيد عنه قلامة ظفر، فعناية الله ورعايته وتدبيره لخلقة هي الأسس والقواعد الحتمية للكون، بحيث إذ انعدمت هذه العناية ولو لوهلة واحدة لكان مصير العالم العدم والفناء.

أضف إلى ذلك أن الله هو الخالق، وكونه تعالى الخالق لكل شيء يستتبع تدبير شؤون خلقه فلا انفصال بين الخلق والتدبير فهما متلازمان لا انفصال بينها عقلاً وشرعاً، ولذا تجد القرآن الكريم حينما يتحدث عن الخلق فإنما يتبعه بالحديث عن العناية به بتدبير شئونه وتولي أموره قال تعالي: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾(٢)، وقال جل شأنه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في مسنده بَابٌ فِي قَوْلِهِ (ﷺ): إِنَّ اللهُ لَا يَنَامُ، ج ١ ص ١٦٢ ح ٢٩٥ المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي– دار إحياء التراث العربي – بيروت، فالله جل في علاه أَلَمْ يُطْلِعِ الْخَلْقَ إِلا عَلَى مِقْدَارِ مَا تحْتَمِلُهُ قُوَاهُمْ وتُطِيقُهُ قُلُوبُهُمْ، وَلَوْ أَطْلَعَهُمْ عَلَى كُنْهِ عَظَمَتِهِ، لانْخَلَعَتْ أَفْئِدَتُهُمْ، وَزَهَقَتْ أَنْفُسُهُمْ، وَلَوْ سَلَّطَ نُورَهُ عَلَى الأَرْضِ وَالْجِبَالِ، لاحْتَرَقَتْ وَذَابَتْ، كَمَا قَالَ فِي قِصَّةِ مُوسَى (ﷺ): {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا}: غريب الحديث–الخطابي ج ١ ص ٦٨٥ المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي – دار الفكر – دمشق ١٩٨٢م.

(٢) سورة السجدة الآيتان ٤، ٥.

(٣) سورة الرعد الآية ٢.

فهذه الآيات الكريمات تبين أن الله (ﷻ) هو الخالق لكل ما في الوجود المنفرد بخلقه دون شريك ولا ظهير، الرازق بلا مؤنة الخالق بلا حاجة لخلقه المدبر لأمورهم، القاضي فيهم ما أحبّ حسبما تقتضيه حكمته، فيفعل ما يفعله مصيباً في أفعاله، مطلعاً على عواقب الأمور، مبيناً على أن كل ما يحدث في العالم بعلوية وسفليه(١) من أمور هو بتقديره وتدبيره وحكمته لا يضادُّه في قضائه أحدٌ، ولا يتعقب تدبيره مُتَعَقِّبٌ، ولا يدخل أموره خلل، وهذا دليل على نهاية القدرة والإحاطة والتدبير والعناية ونهاية العظمة والجلال فهو وحده مبدع جميع المخلوقات، وإليه وحده تنتهي الحاجات(٢).

علاوة على ذلك فالحكمة من الربط القرآني بين خلق الكون والعناية به والتأكيد على ذلك في أكثر من موضع في القرآن الكريم الاستدلال علي وجود الله (ﷻ) لمن ينتابه الشك- وإلا فوجوده أمراً فطرياً في النفوس- وهذا دليل على الترابط والتلازم بين عملية الخلق والعناية الإلهية قال تعالي: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ

(١) لأن التدبير أقسام متعددة: منها تدبيره تعالى في العالم العلوي، وأخر في العالم السفلي، وثالث في عالمي الأرواح والأجساد تدبيرا لا نهاية له بالإيجاد والإحياء تارة وبالإنهاء والإماتة أخري، وبالعطاء والمنع، كما يدخل فيه إنزال الوحي وإرسال الرسل إلخ وهذا دليل على عظم إحاطته (ﷻ) وكمال عنايته فلا يشغله شأن عن شأن ولا يمنعه تدبير عن تدبير. يراجع مفاتيح الغيب – الرازي ج ١٨ ص ٥٢٧ دار إحياء التراث العربي – بيروت ط: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

(٢) يراجع جامع البيان في تأويل القرآن-الطبري ج ١٥ ص ١٨ ج ١٧ ص ١٩٢، ١٩٣ المحقق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة ط أولى، ٢٠٠٠م.

وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١) وقال تعالى: "وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾(٢).

ومن ثم فهذا الكون وما فيه من ترابط وتناسق دليل واضح على الرعاية الشاملة لكل أجزائه، فخلق السموات بلا عيب ولا تفاوت، وجعل الأرض ممهدة تحوي عناصر الحياة من صلاحيتها للزراعة وجريان الماء العذب ووجود الثمار والأشجار وغيرها مما أوجدها الخالق لتحيا المخلوقات عليها.

إضافة إلى هذا فكل شيء يحدث في الكون إنما يتم بإرادته وأمره إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون قال تعالي: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن﴾(٣)؛ فهو مطلق القدرة ليس لقوانين الطبيعة قوة مستقلة عنه تعمل بذاتها وتنفصل عن إرادته، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾(٤)، مؤكدا، أن خلقه محكما ومتقن، فلا عيب فيه ولا تفاوت قال تعالي: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾(٥).

علاوة على ذلك فهذا الخلق لحكمة ولغاية وليس كما تدعي الربوبية أنه إله عابث يفعل بلا حكمة ولا هدف قال تعالي: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا

(١) سورة الأعراف الآية ٥٤.

(٢) سورة إبراهيم لآية ٣٢ وقال جل شأنه: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ سورة النمل الآية ٨٨.

(٣) سورة البقرة الآية ١١٧.

(٤) سورة ق الآية ٣٨.

(٥) سورة الفرقان الآية ٢.

بَيْنَهُمَا لَعِبِينَ ﴾(١)، وقال جل شأنه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٢) مبينا الغاية من الخلق عمارة الأرض بطاعة الله، ولذلك يأمرنا بالنظر والتفكر والتأمل والتدبر في آياته الكونية كدليل يبين للإنسان أنه هو الخالق الذى يرعى خلقه بعنايته ويشملهم برعايته، ولذلك جمع القرآن الكريم بين الإدراك العقلي والحسى ولم يفصل بينهما، إذ جاء ذكر العقل والأفئدة بعد السمع والبصر كتأكيد للإنسان قال تعالي: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(٣) وقال جل شأنه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(٤) وهذا يعد من قبل العناية الكونية فكل ما كَانَ أَظْهَرَ دَلَالَةً كَانَ أَقْوَى إِفَادَةً، وَكَانَ أَوْلَى بِالذِّكْرِ.(٥)

وفوق ذلك أنعم على الإنسان بنعم لا تعد ولا تحصى، فأحاطه بعنايته ورعايته، ووضع له المنهج القويم والصراط المستقيم، ليسير على هدى، فلا يتخبط ولا يتعثر إذا ما سار على نهج مولاه، وخالقه الذي يرعاه، وأنشأه وسواه، كما بين لنا أنه هو المتصرف في الكون العالم بكل صغيرة وكبيرة فعلمه علم إحاطة وانكشاف قال تعالي: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ

(١) سورة الأنبياء الآية ١٦.

(٢) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٤٢.

(٤) سورة القصص الآية ٧٢.

(٥) يراجع مفاتيح الغيب – الرازي ج ٢ ص ٦٣٦.

مُّبِينٍ ﴾(١).

علاوة على ذلك فعنايته بخلقة تتسم بالشمول والكمال، بالتالي لا يمكن حصرها ولا إحصائها، فريثما أجال الإنسان ببصره رأى عناية الله تغمره وآلاؤه تكلؤه ونعمه لا تحصي، ومع هذا سأشير إلى بعض من مظاهر العناية بالإنسان –المؤمن والكافر المطيع والعاصي وهو ما يمكن أن يطلق عليه العناية العامة – على النحو الآتي:

١-عناية الخالق جل في علاه بالإنسان قبل وجوده وله عدة صور منها:

(أ) تهيئة الأرض وجعلها ملائمة لاستقباله " واشتمالها على كل مقومات الحياة فيها من هواء ملائم له، وماء يروي ظمئه ولا ينتهي، قال تعالي: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا * وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا *وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا * وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا * لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا *وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴾(٢).

(ب) التناسق والتلاؤم في قوانين الكون بالتنظيم الفريد للطبيعة والدقة البالغة وهذا ما أكده تعالى حيث قال: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**﴾(٣).

يقول "كريس موريسون": ومما يدعو إلى الدهشة في هذه الدقة الفائقة، إذ لو كانت قشرة الأرض أكثر سمكاً مما هي عليه الآن؛لامتص ثاني أكسيد الكربون الأكسجين، وما كان هناك حياة موجودة، ولو كان الهواء أخف مما هو؛فإن الشهب التي تحترق في الهواء الخارجي لتضرب جميع أجزاء الأرض، ويصير بإمكانها إشعال جميع الأشياء القابلة للاحتراق، ولتمزق الإنسان إرباً باصطدامه

(١) سورة سبأ من الآية ٣.

(٢) سورة النبأ الآيات ٦: ١٦.

(٣) سورة الفرقان الآية ٢.

بالشهب التي تسير بسرعة شديدة، ولكانت العاقبة مروعة، لكن الهواء كثيفاً بقدر التركيز اللازم لمرور أشعة التأثير الكيمائي اللازمة للنبات، والتي تنتج الفيتامينات وتقتل الجراثيم، ولا تؤذي الإنسان إلا إذا كشف نفسه وقت أطول من اللازم، وبالرغم من الإنبعاثات الغازية التي تخرج من الأرض-ومعظمها سام- فإن الهواء ما زال باقيا دون تلويث وبلا تغير في نسبته الملائمة لوجود الإنسان(١).

ولولا هذه العناية الكونية من الخالق لما استقر للإنسان القَرار إلا في مطمورة البوار، ومهاوي الدمار لكنه جل في علاه يُفيضُ عليه من النعم والعناية، فيرعاه بسبق رحمته دون انتظار مقابل منه، فهو غني عن خلقه، وخلقه في عوز وحاجة إليه.

(ج) خلق الحيوانات وتسخيرها لخدمته وليتغذى عليها ولينتفع بها منافع أخري، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ**﴾(٢)، وقال جل شأنه ﴿**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ، وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ، وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ فهذا يعد مظهراً من مظاهر عناية الله بخلقة إذ ذلل له هذه الحيوانات التي تفوقه في البنية والخلق، وسخرها له، حتى إن الصبي الصغير يقود الجمل العظيم، ويصرفه ويضربه كيفما شاء فلا يخرج عن طاعته، فجعلها طوع أمره تنقاد له؛ لينتفع

(١) يراجع العلم يدعو للإيمان – كريسي موريسون ترجمة: محمود صالح الفلكي ص٦٣ ط ثانية القاهرة مكتبة النهضة ١٩٥٥م.

(٢) سورة النحل الآية ٦٦.

بها وتكون عون له في قضاء حاجاته، وهذا مما يدعوا للتفكر ويستوجب شكر المنعم على ذلك(١).

(د) خلق نباتات متنوعة ليتغذى عليها الإنسان ويتداوى بها وله فيها منافع أخري، قال تعالي: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾(٢) **وحينما يبحث الإنسان ببصره في قوته يجد نعم الله تحيط به وعنايته تغمره قال تعالى:** ﴿ **فَلْيَنْظُرِ الْأِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ، أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا، وَعِنَبًا وَقَضْبًا، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا، وَحَدَائِقَ غُلْبًا، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**﴾(٣).

(هـ) كفل الإنسان بملائكة تحرسه وترعاه، من يوم تكوينه في رحم أمه حتى خروج روحه من جسده عند موته قال تعالي: ﴿ **لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ** ﴾(٤)، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه)، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: "وَكَّلَ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا، قَالَ: أَيْ رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ

(١) يراجع الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي – القرطبي ج ١٥ ص ٥٥ تحقيق: أحمد البردوني دار الكتب المصرية – القاهرة ط الثانية، ١٩٦٤م، مفاتيح الغيب – الرازي ج٣١ ص ١٤٥.

(٢) سورة الأنعام الآية ٩٩.

(٣) سورة عبس الآيات ٢٤-٣٢.

(٤) سورة الرعد من الآية ١١.

أُنْثَى، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ، فَمَا الأَجَلُ، فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ"(١)، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا لَهُ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِحِفْظِهِ فِي نَوْمِهِ وَيَقْظَتِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْهَوَامِّ، فَمَا مِنْهَا شَيْءٌ يَأْتِيهِ إِلَّا قَالَ لَهُ الْمَلَكُ: وَرَاءَكَ، إِلَّا شَيْءٌ أَذِنَ اللَّهُ فِيهِ فَيُصِيبُه(٢).

فعناية الله (ﷻ) بالإنسان شاملة تحيط به أينما وجد وحيثما كان، يقول الأمام الغزالي: فالخالق حافظة للنَّفس النباتية وَالنَّفس حافظة للنفوس الحيوانية وَالْعقل حَافظ للنَّفس الناطقة الإنسانية وَأمر الْبَارِي تَعَالَى حَافظ للنَّفس القدسية النَّبَوِيَّة وهو تعالي حافظ لهم جميعا(٣).

٢- عناية الله تعالى بالإنسان منذ بداية كونه جنين في قرارا مكين يتغذى ويتكون حافظاً له من المخاطر، محاط بظلمات ثلاث حماية وحفظا له قال تعالى: ﴿ **يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ**﴾(٤) قال المفسرين عن هذه الظلمات بأنها ظلمة البطن وظلمة الرحم والمشيمة(٥)وقد أكد العلم الحديث أن الجنين يحاط بثلاث أغشية أولهما:الغشاء الأمنيونى وهو ما يحيط بالجنين مباشرة وهو نسيج خالي من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، بَابٌ فِي القَدَرِ ج ٨ ص ١٢٢ح ٦٥٩٥ تحقيق: محمد زهير-: دار طوق النجاة.

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول - الحكمي ج ٢ ص ٦٦٢ المحقق: عمر بن محمود أبو عمر - دار ابن القيم - الدمام ط الأولى ١٩٩٠م.

(٣) يراجع معارج القدس في مدراج معرفة النفس -- الغزالي ص ١٧٨ - دار الآفاق الجديدة - بيروت -الطبعة: الثانية، ١٩٧٥م.

(٤) سورة الزمر من الآية ٦.

(٥) تفسير مجاهد - مجاهد ص ٥٧٧ المحقق: الدكتور محمد عبد السلام - دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر الطبعة: الأولى ١٩٨٩م.

الأوعية الدموية، ويتلقى غذائه من السائل الأمنيوسى، كما يتكون من طبقات من الخلايا، ثانيهما الغشاء الكوريونى الذي يحيط بالغشاء الأمنيونى ويحتوي على الأوعية الدموي، كما يحيط الرحم بكلا الغشائيين من الخارج بما فيها الجنين، وبالتالي فالجنين محاط بهذه الأغشية الثلاث لحمايته من الصدمات، وتثبيت الحمل بإفراز هرمون البروجستيرون مما يساعد علي استمرار الحمل، وتقوم بتغذية الجنين وحصوله علي الأكسجين وطرح ثاني أكسيد الكربون وعملية الإخراج كما ترافقه هذه الظلمات خلال نموه وتتأقلم مع احتياجاته ريثما ينفصل عن أمه(١).

٣- تكريم الإنسان وخلقه في أحسن تقويم قال تعالي: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(٢) أي في أحسن صورة وأعدل قامة، يتناول مأكولة بيده وغيره من الحيوانات منكبّا على وجهه، كما جعله مزينا بالعقل، مهذّبا بالتمييز، مؤدّبا بالأمر(٣).

٤- تكفل الخالق جل في علاه بالإنسان بعد انفصاله وخروجه من بطن أمه، إذ يخلق ضعيف القوي لا يعرف من أمره شيئا قال تعالي: ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾(٤) فتتوله عناية الله فيعجل له من يكفله ويرعاه؛ حتى يقوي بنيانه

(١) يراجع المبادئ الأساسية في علم الجنين عند العلاّمة ابن قيم الجوزية – أميرة أومري مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية – المجلد ٢٩ –العدد الأول–٢٠١٣، ويراجع: http://iswy.co/e٢br٠n ظلمات ثلاث–محنفى محمود مدبولى٢٠-١١-١٣

(٢) سورة التين الآية ٤.

(٣) يراجع الكشف والبيان عن تفسير القرآن –الثعلبي، ج ١٠ ص ٢٤٠ تحقيق: ابن عاشور إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الأولى ٢٠٠٢م.

(٤) سورة النحل – الآية ٧٨.

ويشتد عضده وهو في هذه المرحلة صفحة بيضاء وقوي الحس فيه أقوي لكنه يكون في مرحلة من السذاجة التي لا تصل به إلى تناول المعاني العالية والمعارف السامية وانصراف قواه إلى تغذية الجسم وعدم المبالاة بما وراء ذلك، وما زال لم يصل من طوق مداركه لاختراق هذا العالم المحسوس، ليصل إلى المعرفة العقلية، فإذا بلغ رشده تولته العناية الإلهية بصورة أخري، فيقوي فيه الجانب العقلي فيفكر فيما حوله؛ ليعرف كيف يجابه المستقبل فتقوي عنده القوى المدركة ويستطيع استخدام حواسه وعقله التي وهبه إياه الخالق وصولا إلى دفع الضرر والسعي للنافع، وهكذا سنة الله في خلقه من التدرج بالإنسان من ضعف إلى قوة ومن ضلال إلى هداية.

٥- عناية الله تعالى بالإنسان في وقت الشدائد والمحن وتتمثل في التفريج من الكرب والشدائد قال تعالي: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾(١).

٦- إرسال الابتلاء بالإنسان كصورة من صور العناية الإلهية العامة حتى يتوب إلي مولاه ويعود إلى رضاه فيفوز بالنعيم قال تعالى:﴿وَما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنا أَهْلَها بِالْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾(٢)، فهذه الآية الكريمة تبين أن

(١) سورة الأنعام الآيتان ٦٤، ٦٥.

(٢) سورة الأعراف الآية ٩٤، فالإنسان إذا أصابته المصائب بذنوبه وخطاياه كان هو الظالم لنفسه، فإذا تاب واستغفر جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب، والذنوب مثل أكل السم، فهو إذا أكل السم مرض أو مات فهو الذي يمرض ويتألم ويتعذب ويموت، والله خالق ذلك كله، وإنما مرض بسبب أكله، وهو الذي ظلم نفسه بأكل السم، فإن شرب الترياق النافع عافاه الله، فالذنوب كأكل السم، والترياق النافع كالتوبة النافعة، والعبد فقير إلى الله تعالى في كل حال، فهو بفضله ورحمته=

الله تعالى إذا أرسل نبيا إلى قوم ففي حال استكبارهم عن أتباع الحق فإن من عنايته بهم والحرص على هدايتهم؛ فإنه يبتليهم بالبؤس والفقر والمرض؛ليتضرعوا ويحطوا أردية التكبر ويتبعوا الحق وحينئذ يكون جزاؤهم إبدال ما هم فيه من المحن إلى النعماء والصحة وكشف الضر عنهم(١)، وعن ابن عباس (ﷺ) قال: نبتليكم بالشدة والرخاء والغنى والفقر، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة وإلى الله يردّون فيجازون بأعمالهم، حسنها وسيئة(٢)، وهو جل شأنه حينما يبتلي عباده بالمصائب والمحن أنما يكون اختباراً لهم ليميز الخبيث من الطيب قال تعالي: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(٣)

٧- إرسال الرسل لدعوة الإنسان إلى عبادة الله الواحد الأحد، وليوضحوا له طريق النجاة؛ حتى يقطع حجج المعتذرين وانتحال المعطلين، قال تعالي: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ

=يُلهمه التوبة، فإذا تاب، تاب عليه، فإذا سأله العبد ودعاه استجاب دعاءه، يراجع شفاء الضرر بفهم التوكل والقضاء والقدر – أبو فيصل البدراني ص ١٧.

(١) يراجع الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – الزمخشري ج ٢ ص ١٣٢ – دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ، زاد المسير في علم التفسير – ابن الجوزي ج ٢ ص ١٦٥ – المحقق: عبد الرزاق المهدي دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

(٢) يراجع جامع البيان في تأويل القرآن – الطبري ج ١٨ ص ٤٤٠ المحقق: أحمد محمد شاكر – مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٧٩.

عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(١)، فبين الخالق جل في علاه أنه لا حجة لأحد بعد ارسال الرسل، وإنما قال جل شأنه بعد الرسل ولم يقول بعد العقل؛ لأن قدرات العقل محدودة فلا تستطيع بمفردها معرفة الحلال والحرام فبان أن مجرد امتلاك الإنسان للعقل لا دليل فيها على الشرائع(٢).

أضف إلى ذلك أن عناية الله بخلقه لم تتوقف على مجرد ارسال الرسل بل جعلهم يتحدثون بلغة أقوامهم قال تعالي: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾(٣).

٨- العناية بالرسل وتكفله برعايتهم وحفظهم من أعدائهم وهو ما يسمي بالعناية الشرعية وتجلت هذه العناية منذ نعومة أظافرهم وحتى موتهم، وقد احتوى القرآن الكريم على الكثير من الآيات الكريمة التي تضمنت عنايته برسله وحفظه لأنبيائه ورسله منها قوله تعالي: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾، وقوله جل شأنه ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾(٤)، وقال أيضا: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ

(١) سورة النساء الآية ١٦٥.

(٢) يراجع التبصير في الدين – الأسفراييني ص ١٧١ المحقق: كمال الحوت – عالم الكتب – لبنان ط الأولى، ١٩٨٣م.

(٣) سورة إبراهيم الآية ٤.

(٤) سورة آل عمران الآية ٥٥.

ذِكْرَكَ﴾(١).

٩- إنزال الكتب لتكون وسيلة للهداية والرشاد إلى الطريق القويم والصراط المستقيم، إذ بعد انطماس السبل وغياب الرسل تفسد التصورات وتختلف الرغبات، وتتعدد الطرق، ويكمن سبيل النجاة من التيه بإنزال الخالق كتاب إلهي يحفظ للناس عقائدهم وشرائعهم، فكان من عناية الله بخلقه إنزال الكتب حتى تكون النبراس الذي يضيء للخلق طريق حياتهم، ويوصلهم لرضا ربهم؛ فيسعدوا في الدارين قال تعالي: ﴿هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٢) وقال جل شأنه: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا)(٣).

وتأكيداً على عناية الله بخلقه في هذا الشأن إنزال الكتب بلغة المرسل إليهم في الأمم السابقة على الإسلام، إما القرآن الكريم فقد شرف به العرب وأنزله بلغتهم تشريفا لهم رغم أنه للعالمين، ومع هذا سهل فهمه للثقلين حتى من لا ينطقون العربية قال تعالي: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾(٤).

ومن مظاهر عناية الله بكتابه أنه تكفل بحفظه فلا يستطيع أحد تحريفه، وإعجازه لفظاً ومعني، واشتماله على كل ما يهم الناس في معاشهم ومعادهم قال تعالي: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾(٥).

وفوق ذلك فهو وحده جل في علاه واهب النعم بلطف ورفق، عالم بما يصلح

(١) سورة الشرح الآيات ١ -٤.
(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٥.
(٣) سورة النساء الآية ١٧٤.
(٤) سورة الشورى الآية ٧.
(٥) سورة الأنعام الآية ٣٨.

خلقه فيرزق من يشاء تفضلاً وتكرماً منه، إحساناً لخلقه ورحمة بعبادة في دفع الآفات والمصائب عنهم قال تعالي: (**اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ العَزِيزُ**)([1]).

هذا غيض من فيض وقطرة في بحر لا قرار له، وإلا فعناية الله تعم جميع المخلوقين، إذ أنعم الله على جنس الإنسان بنعم لا تعد ولا تحصي وجعل ما في الكون مسخرا لخدمته، فما بالنا بالعوالم الأخرى سواء كان عالم الحيوان[2] أو عالم النبات، وعالم الجن وعالم الملائكة فكل هؤلاء تشملهم عنايته ويحيطهم برعايته وفضله قال تعالي: ﴿ **وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾([3]).

وهذا إن دل علي شيء فإنما يدل علي شمولية التعبير القرآني وسعة إحاطة الخالق بخلقه ورحمته بهم وفضله عليهم بإنعامه عليهم بهذه النعم التي لا تعد ولا تحصي وتتميماً لهذه النعم فإنه يكلئهم بعنايته ويتكفلهم برعايته وهذا كرماً ومزيد فضلاً منه تعالى، وليس كما تدعي الربوبية في الهها المبتور المنزوع الصلاحيات الذي لا يعلم عن حالهم شيئا ولا يتدخل في إصلاح شؤونهم ولا يدبر لهم أمورهم فأي الفريقين أحق أن يتبع إذ كان هذا شأنه.

ومن ثم فالخالق جل في علاه جديراً بالعبادة وحده فلا تنبغي العبادة إلا له؛لأنه الأحق بها مع أنه غنياً عنها فلن يضره ولا ينفعه عبادة أحد ولن ينقص في ملكة استكبار المستكبرين على طاعته قال تعالي: (**مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا**

---

(١) سورة الشورى الآية ١٩.

(٢) فعن أَبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) يَقُولُ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ» أخرجه البخاري في صحيحه بَابٌ: جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ ج ٨ ص ٨ ح ٦٠٠٠.

(٣) سورة النحل الآية ٨.

أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ *إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)(١) (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)(٢).

وإذا كانت الربوبية تنزلق إلى غياهب الجهل مرورا بالانفصال عن الواقع قائلين بأن الخالق خلق الخلق ثم تركه، فإن الخالق يؤكد دائما وجوده ليعلن لجميع الخلق أنه حيا لا يموت وأنه مطلع على خفايا الأمور ودقائقها، مدللاً على عظمته مستخدماً الأدلة العقلية على ذلك، فلو كان غائباً فمن ذا الذي يمسك السموات أن تقع على الأرض، ومن يخرج الخبأ من الأرض ومن يرزق الخلق في الكون الفسيح، بل ويؤكد تعالى شأنه أنه لا يغيب عن خلقه ولو لسنة من الوقت، وهذا ما يدل عليه الواقع الذي يراه الإنسان قائما أمام عينيه لا ينكره ذو لب أو يدحضه عقل.

ومن هنا فقد جاءت النظرة الإسلامية للعناية الإلهية مكتملة الجوانب خالية من النقص، وعلى كل فإن الإسلام لا يقبل ذلك التصور العقيم للعناية الإلهية في الفكر الربوبي، ومهما يكن من أمر الربوبية وإنكارها للعناية الإلهية بهذه

(١) سورة الذاريات الآيتان ٥٨، ٥٧.

(٢) سورة فاطر الآية ١٥، وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ (ﷻ) أَنَّهُ قَالَ: « يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» أخرجه مسلم في مسنده بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ ج ٤ ح ٢٥٧٧ المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الصور المختلقة والمخالفة للواقع المشاهد فهي غير مقنعة، إذ يعتريها الضعف والقصور، والضلال والانحراف ولا دليل عليها ولا حجة قوية لديهم، إذ ما قيمة هذا الإله الغائب الذي لا صلة له بالعالم، سوي مجرد الخلق فهو إلها مبتور الصلة بمن سواه غير عابئا بخلقه، عاجز عن تدبير شئونهم والعناية بهم، وإذا كان الأمر هكذا فلا يعد أن تكون تلك الصورة التي تناقلتها الربوبية للعناية الإلهية سوى فكرة مبهمة، لا صلة لها بالعقل فضلاً عن الواقع فعقولهم المريضة المنغمسة في إتباع الهوى والسعي خلف التحلل من التكاليف الشرعية كانت الغاية من إنكار العناية الإلهية حتى لا يكون لديهم نحو هذا الإله أي واجبات، أو أدني التزامات يفرضها عليهم فيعيشون كما تحي الحيوانات بدون رقيب أو عتيد.

من خلال ما سبق يتضح أن القرآن الكريم بدد فكر الربوبية ومن سار على دربهم في القول بانعزال الإله عن العالم سواء كان هذا الانعزال كلياً أو جزئياً وذلك بالحديث المستفيض عن العناية الإلهية وبيان أنها من المحكمات الكبرى، وأن ثبوتها إنما يكون بالاستقراء التام للنصوص الشرعية مع أعمال العقل في النواميس الكونية، وبهذا يصل الإنسان إلى حقيقة كلية يغلب فيها جانب اليقين ويبدد فيها الظن.

بالإضافة إلى ذلك جاء حديث القرآن الكريم عن العناية حديث شمولي مبينا أن عنايته بخلقه شاملة ومتكاملة تشمل جميع المخلوقات بما فيها الإنسان في جميع أطواره مع اختلاف معتقده، وهو ما يمكن أن يطلق عليه العناية الكونية العامة، كما لا يمكن إغفال عنايته (ﷻ) بعباده المؤمنين وهو ما يطلق عليه العناية الكونية الخاصة التي بدورها تشع في قلوب المؤمنين الانطلاق والبشرى بما عند الله تعالى فتورث في القلب العرفان والشكر للخالق كما تؤدي إلى الثقة في الدين.

علاوة على ذلك تناول القرآن الكريم للعناية الشرعية العامة بإرسال الرسل وإنزال الكتب حتى تنقطع حجج المعاندين وتزول شكوك الجاحدين، مع عدم إغفال الحديث عن العناية الشرعية الخاصة بأنبيائه ورسله؛ ليؤكد للخلق أجمعين أنه جل شأنه يكلئهم بعنايته ويرعهم بمعيته، فلا سبيل للنفس، أو الهوى عليهم فليطمئن الخلق للشريعة التي جاء بها فالخالق قد حماهم ورعاهم.

وبالجملة فليست الآفة في الربوبية والإلحاد وإنما الآفة في تلك العقول التي هي امتداد للضلال والانحراف وإتباع الهوى وطمس نور العقل والبصيرة، أما أن كان دربهم وهمهم هو إتباع الحق والعثور علي الصواب من دون تعصب لرأي فعليهم الاستعانة بالقرآن الكريم ففيه النجاة من الضلال، والزاد الذي يتزود منه كل وارد، فهو العاصم الذي يأوي إليه كل شاك، فهم أن قبلوه بصدر منشرح، وعقل متلهف للوصول للحق وقلباً موفقاً للصواب فأنهم يجدون فيه كل ما يبغون من النور والهدى والرشاد.

وحيث انتهيت من عرض فكرة العناية الإلهية في الفكر الربوبي، وانتهيت أيضا من مناقشتها وبيان موقف القرآن الكريم، فإني انتقل إن شاء الله تعالى للحديث عن خاتمة هذا البحث من خلال السطور التالية.

الخاتمة

يتضح من خلال العرض السابق أن العناية الإلهية في الفكر الربوبي جاءت معتمدة على أفكار وحجج غير منطقية استطاع القرآن الكريم تفنيدها وبيان ضلالها، كما جمع بين الأدلة العقلية والنقلية للدلالة على ثبوت العناية الإلهية وشمولها للكون، ولقد توصلت الباحثة من هذه الدراسة إلى جملة من النتائج على النحو الآتي:

١- تذبذب الفكر الربوبي في موقفه من العناية الإلهية – بين ثلاثة اتجاهات – يعد دليلاً واضحا علي اهتزاز فكرهم وضعف عقولهم.

٢- تأثر الاتجاه الربوبي المنكر للعناية الإلهية بفكر الأبيقوريين وفلاسفة اليونان دعما لموقفهم من إنكار الألوهية، والقاسم المشترك بينهم عزل الإله عن الإنسان والكون.

٣- أسس الاتجاه المؤيد للعناية الإلهية المشروطة أفكاره علي حجج تتناقض مع العقل.

٤- جاء الاتجاه المتأرجح بين إنكار العناية وتأييدها متأثراً بأفكار الملاحدة المعتمدة على الربط بين وجود الشر وإنكار الإيمان بالغيبيات، وفي ذلك دليل واضح على ضعف حجتهم.

٥- إنكار الربوبية للعناية الإلهية سبيلاً لإنكار الوحي بهدف التخلص من التكاليف الشرعية والدعوة للإباحية ونشر الفوضى داخل المجتمع.

٦- اعتماد الفكر الربوي لتأييد أفكارهم علي العشوائية والصدفة والانتخاب الطبيعي للكون، ومن ثم ظهر عجزهم الفكري في استخدام الأدلة العقلية لإثبات ما يدعون.

٧- جاءت حصيلة أفكارهم عن العناية الإلهية مضطربة وغامضة، كما أنها

متهافتة.

٨- تعارض الفكر الربوبي مع الفطرة السليمة والمنطق العقلي القويم.

٩- خلط الربوبية بين الطبيعة والمشيئة الإلهية وأعطي قوانين الطبيعة السلطة المطلقة في تسير الأمور وكأنها إله فاعل قادر.

١٠- عجز عقول الفكر الربوبي عن تقديم حلول مقنعة لرفض العناية الإلهية

١١- إصرار الربوبية على انقطاع الصلة للخلق بالكون وان الإله ليس لديه عناية بخلقة يسقط مذهبهم وينقض دعواهم.

١٢- يتسم حديث القرآن الكريم عن العناية الإلهية بالشمول والكمال.

١٣- تنوع الأمثلة في القرآن الكريم وكثرتها للتأكيد على ثبوت العناية الإلهية بالكون بأثره.

١٤- الإيمان بثبوت العناية الإلهية سبيلاً وطوقاً للنجاة من الوقوع في الفتن والأراجيف التي يدعيها الربوبية والمتفلسفة والملاحدة.

١٥- عرض القرآن الكريم للعناية الإلهية من منطلق فكري وديني قائم على التلازم بين عملية الخلق والعناية الإلهية، إذ الإيمان بالخالق يرتبط التسليم بعنايته بخلقه.

المقترحات

١- مواصلة البحث في هذا الموضوع الهام لما له من تأثير علي معتقدات اعداد كبيرة من طوائف الشباب حول العالم.

٢- عقد مؤتمر دولي حول الفكر الربوبي لبيان خطره على العقيدة الإسلامية.

٣- دعوة رابطة العالم الإسلامي والأزهر الشريف وكافة المؤسسات الإسلامية المحلية والدولية لممارسة دورهم في مجال التوعية بأضرار هذا الفكر في العالم بصفة عامة والمجتمعات الإسلامية بصفة خاصة.

٤- إقامة ندوات وورث عمل في الجامعات العربية والإسلامية لبيان ضلال الفكر الربوبي وأثرة على انحلال الأخلاق في المجتمع.

المراجع والمصادر

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: السنة النبوية المطهرة

١- الجامع المسند الصحيح (البخاري) محمد بن إسماعيل الجعفي – تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ط ١ د.م دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ.

٢- سنن أبي داود (أبو داود) سليمان بن الأشعث – تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد – د.ط بيروت دار الفكر د.ت.

٣- المسند الصحيح المختصر (مسلم) مسلم بن الحجاج النيسابوري تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي د.ط بيروت – دار إحياء التراث العربي د.ت.

ثالثا: ـ المصادر العامة

١- أبيقور مؤسس الفلسفة الابيقورية (عويضة) محمد محمد، ط أولي بيروت دار الكتب العلمية ١٩٩٤م.

٢- أصل الأنواع (داروين) تشارلز ترجمة: إسماعيل مظهر مؤسسة هنداوي.

٣- أفكار ورجال قصة الفكر الغربي (برنتن) كرين ترجمة: محمود محمود- د.ط مصر مؤسسة هنداوي ٢٠٢٠م.

٤- تاريخ الفكر الأوربي الحديث – رونالد سترو مبرج- ترجمة: أحمد الشيباني – ط ٣- مصر – دار القادى العربي ١٩٩٤م.

٥- تاريخ الفلسفة الحديثة – كرم يوسف –ب.ط مصر مؤسسة هنداوي- ٢٠١٢م.

٦- تاريخ الفلسفة الحديثة- رايت وليم كلى-ترجمة: محمد سيد أحمد – ط ١ بيروت التنوير للطباعة ٢٠١٠م.

٧- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين (الأسفراييني)

طاهر بن محمد المحقق: كمال يوسف الحوت – ط الأولى لبنان عالم الكتب – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٨- تراثنا الروحي من بدايات التاريخ إلى الأديان المعاصرة – بشروئى سهيل – ترجمة: محمد غنيم د.م ط ١ دار الساقي ٢٠١١م.

٩- تفسير القرطبي (القرطبي) محمد بن أحمد بن أبي بكر تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- ط الثانية القاهرة، دار الكتب المصرية – ١٣٨٤هـ.

١٠- تفسير مجاهد (مجاهد) أبو الحجاج بن جبر المحقق: محمد عبد السلام أبو النيل – ط الأولى، مصر دار الفكر الإسلامي الحديثة- ١٩٨٩م.

١١- تكوين العقل السليم (راندال) جون هرمان – ترجمة: جورج طعمة – د.ط بيروت دار الثقافة د.ت.

١٢- جامع البيان في تأويل القرآن(الطبري) محمد بن جرير المحقق: أحمد محمد شاكر ط أولى مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ.

١٣- خريف الفكر اليوناني (بدوي) عبد الرحمن مكتبة النهضة ط ١٩٧٩م.

١٤- الدين من منظور فلسفي بلمون روبرت س –ترجمة: حسون السراي – ط ١ بغداد العارف للمطبوعات ٢٠٠٩م.

١٥- زاد المسير في علم التفسير (الجوزي) عبد الرحمن بن علي بن محمد المحقق: عبد الرزاق المهدي ط الأولى- بيروت – دار الكتاب العربي ١٤٢٢هـ.

١٦- الطبيعة – (طاليس) أرسطو ترجمة: إسحق بن حنين تحقيق: عبد الرحمن بدوي – مصر المكتبة العربية.

١٧- عصر العقل تحقيق: في اللاهوت الحقيقي والاسطوري – باين توماس ترجمة: محمد موسى ب.م، ب.ن.

١٨- العلم يدعو للإيمان – كريسي موريسون ترجمة: محمود صالح الفلكي، ط ثانية القاهرة مكتبة النهضة ١٩٥٥م.
١٩- العناية الإلهية (ذهبي الفم) القديس يوحنا ترجمة: نشأت مرجان ط أولي القاهرة دار الثقافة الأسقفية، ٢٠٠٩م.
٢٠- العناية الإلهية ومشكلة الشر في الفكر الفلسفي (الحلاق) – ثأثر على– ط أولى دار النوادر ٢٠١٤م.
٢١- غريب الحديث (الخطابي) حمد بن محمد بن إبراهيم المحقق: عبد الكريم الغرباوي – دمشق دار الفكر – ١٩٨٢م.
٢٢- فكرة الإلوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والعربية النشار مصطفى ط ٢ القاهرة مكتبة مدبولي.
٢٣- الفلاسفة الإغريق من طاليس إلى أرسطو (جثري) و. ك. س. ترجمة: رأفت حليم سيف مراجعة عبد الفتاح إمام بيروت مطبعة الطليعة، ١٩٨٨م.
٢٤- الفلسفة الرواقية (أمين) عثمان – القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر l.١٩٤٥.
٢٥- قصة الحضارة (ديورَان) ولِ ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين د.ط بيروت دار الجيل، ١٩٨٨م.
٢٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (الزمخشري) محمود بن عمرو بن أحمد – ط الثالثة بيروت دار الكتاب العربي – ١٤٠٧هـ.
٢٧- الكشف والبيان عن تفسير القرآن (الثعلبي) أحمد بن محمد بن إبراهيم تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور – ط الأولى بيروت دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ.
٢٨- المدخل إلى الفلسفة – كوليه– ترجمة: أبو العلا عفيفي – ط ١ بيروت

أقلام عربية ٢٠١٦م.
٢٩- مدينة الله – القديس أوغسطين ط ثانية بيروت دار المشرق.
٣٠- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول- الحكمي حافظ بن أحمد بن علي تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر –ط ١ الدمام دار ابن القيم ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
٣١- معارج القدس في مدراج معرفة النفس (الغزالي) أبو حامد محمد بن محمد ط الثانية بيروت – دار الآفاق الجديدة –١٩٧٥م.
٣٢- مغامرات الفكر الأوروبي قصة الأفكار الغربية –روس جاكلين – ترجمة: أمل ديو- ط ١ الإمارات أبو ظبي للثقافة والتراث ٢٠١١م.
٣٣- مفاتيح الغيب – الرازي – محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين ط ٣ د.م دار إحياء التراث العربي ١٤٢٠هـ.
٣٤- النجاة في الحكمة الإلهية (ابن سينا) الحسين بن علي- ط ثانية المكتبة المرتضوية مطبعة السعادة ١٩٣٨م.

رابعا: الدوريات:

١- الألوهية في الفكر الربوبي وموقف الإسلام منها – فايقة محمد جاد – مجلة كلية أصول الدين بطنطا العدد الرابع عشر لسنة ١٤٤٣-هـ٢٠٢٢م.
٢- المبادئ الأساسية في علم الجنين عند العلاّمة ابن قيم الجوزية – أميرة أومري مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية – المجلد ٢٩ – العدد الأول-٢٠١٣م.

خامسا: كتب اللغة والمعاجم:

١- تاج العروس من جواهر القاموس (الزَّبيدي) محمّد بن الحسيني – مجموعة من المحققين د.ط، د.م دار الهداية.
٢- تهذيب اللغة (الأزهري) أبو منصور محمد بن أحمد – تحقيق: محمد

عوض مرعب ط الأولى بيروت– دار إحياء التراث العربي – ٢٠٠١م.
٣– جمهرة اللغة (الأزدي) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد المحقق: رمزي منير بعلبكي – ط الأولى– بيروت دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.
٤– دليل أكسفورد للفلسفة– تدهوندرتش – ترجمة: نجيب الحصادى د.ط ليبيا المكتب الوطني د.ت.
٥– قاموس فولتير الفلسفي –فولتير ترجمة: يوسف نبيل د.ط، د.م مؤسسة هنداوي ٢٠١٧م.
٦– لسان العرب (ابن منظور) محمد بن مكرم الأفريقي المصري– ط٣ بيروت – دار صادر ١٤١٤هـ.
٧– مختصر ترجمة: مشاهير قدماء الفلاسفة: لايرتيوس ديوجين ترجمة: عبد الله حسين، د.ط القاهرة المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٦م.
٨– معجم أعلام المورد (البعلبكى) منير– ط أولى دار العلم للملايين ١٩٩٢م.
٩– المعجم الفلسفي (صليبا) جميل – د. ط بيروت دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢م.
١٠– المعجم الوسيط (مصطفى) إبراهيم ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار – دار الدعوة –تحقيق: مجمع اللغة العربية.
١١– موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب (حلو) شارل وآخرون دار الكتاب العلمية.
١٢– الموسوعة الفلسفية المختصرة –أرمسون.وج.أو، جوناثان رى ترجمة: فؤاد كامل وآخرون – ط أولى المركز القومي للترجم ٢٠١٣م.
١٣– موسوعة لالاند الفلسفية (لالاند) أندريه ترجمة خليل أحمد خليل عويدات ط ثانية باريس ٢٠٠١م.

سادسا: المواقع الإلكترونية

١- الاتحاد العالمي للربوبيين اتحاد الألوهيين والملحدين واللا أدريين لشمال إفريقيا والشرق الأوسط.

٢- الربوبية – Deism –اتحاد الربوبيين في الشرق الأوسط. https://t.me/s/deism_mena?before=٨٢

٣- ظلمات ثلاث-محنفي محمود مدبولي ٢٠٢٠-١١-١٣: http://iswy.co/e٢br٠n

٤- مقدمة ديست باللغة العربية – مرحبا بك في الربوبية http://arabicdeist.blogspot.com/٢٠٠٩/٠٨/blog-post_٢٦.html

٥- مدونة الربوبى العربى – الرب اعطانا عقلا لا دليل – العقيدة الربوبية ٢٩-١٠-٢٠١٠، ٢٣ يونيو ٢٠٠٩م.

٦- http://deistarab.blogspot.com/٢٠١٤/٠٢/blog-post.html

٧- الموسوعة البريطانية الجديدة لسنة – ١٩٩٨م ENCYCLOPEDIA BRITANNICA،

٨- الموسوعة الكاثوليكية. المجلد. ٤. نيويورك: شركة روبرت أبليتون، ط ١٩٠٨. https://www.newadvent.org/cathen/٠٤٦٧٩b.htm

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	١٠٠٣
الملخص باللغة الإنجليزية	١٠٠٤
المقدمة	١٠٠٥
المبحث الأول: العناية الإلهية ومراحل الربوبية الفكرية	١٠١٠
المطلب الأول: العناية الإلهية وجذورها الفكرية	١٠١٠
المطلب الثاني: التعريف بالربوبية ومراحلها الفكرية	١٠١٦
المبحث الثاني: الفكر الربوبي والعناية الإلهية وموقف الإسلام منه	١٠٢٧
المطلب الأول: الاتجاهات الربوبية في العناية الإلهية	١٠٢٧
المطلب الثاني: موقف الإسلام من العناية الإلهية	١٠٤٠
الخاتمة	١٠٥٨
المصادر والمراجع	١٠٦٠
فهرس الموضوعات	١٠٦٦